سلطان الظلمات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

١٨٨٦

سـلطان الظلمـات

دراما في خمسة فصول وست لوحات

« أمّا أنا فأقول لكم :ان كل من ينظر
الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه .

فان كانت عينُك اليُمنى تُعثرك فاقلعْها
وألْقِها عنك ، لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد
أعضائك ولا يُلْقَى جسدُك كله في جهنم » .

متى ٥: ٢٨–٢٩

الشخصيات

بطرس : ٤٢ عاماً ، فلاح غني ، متزوج للمرة الثانية ، عليل .

نيكيتا : ٢٥ عاماً ، مُدّعٍ للجمال ، عامل عند بطرس.

آكيم : ٥٠ عاماً ، والد نيكيتا ، فلاح نحيف وورع .

ميترتيش : عامل قديم ، جندي متقاعد .

والد خطيب آكولينا ، فلاح مشاكس .

زوج مارينا .

دركي .

خطيب آكولينا :

حوذي :

شاهد زواج :

قيّم القرية

آنيسيا : ٣٢ عاماً ، فلاحةٌ مغناج ، زوجة بطرس .

ماتريونا : ٥٠ عاماً ، زوجة آكيم .

آكولينا : ١٦ عاماً ابنة بطرس من زواجه الأول ، صماء قليلا ، ومتخلفة عقلياً .

آنيوتكا : ١٠ أعوام ، ابنة بطرس الثانية .

مارينا ، ٢٢ عاماً ، يتيمة .

ماڤرا : العرّابة .

مارفا : أخت بطرس .

جارة :

الفتاة لأولى :

الفتاة الثانية :

خطّابة :

الشعب .

مدعوون :

نساء :

فتيات :

الفصل الأول

« تجري الأحداثُ في الخريف . في قرية كبيرة .يُمثّل المسرحُ بيت بطرس الخشبيّ الكبير . يجلس بطرس على مقعد ، ويُصلح إكليل جواد . آنيسيا وآكولينا تغزلان .

المشهد — ١ —

« بطرس ، آنيسيا وآكولينا . المرأتان تغنّيان » .

بطرس ، ناظراً من النافذة: ها إن الجياد ذاهبةٌ مرة أخرى ! سيقتلون مهري حتماً ! نيكيتا ! نيكيتا ! يا نيكيتا ! لقد صُمّتْ أذناه ! (يصغي ويخاطب المرأتين) كفاكما غناء ، أنتما ! لسنا نسمعُ شيئاً !

صوت نيكيتا ، في الخارج : ماذا ؟

بطرس : أعِدِ الجيادَ .

نيكيتا : بعد قليل ، انتظرْ !

بطرس ، هازاً رأسه : اوه ! هؤلاء العمال ! لو كنتُ مُعافىً لما كان عندي أحدٌ منهم أبداً ! هم منبعٌ للخطايا بالنسبة إلى أصحاب العمل ! (ينهض ويجلس ثانيةً) نيكيتا ! عبثاً تَصْرخُ

. . . (ملتفتاً إلى المرأتين) . لتذهبْ واحدةٌ منكما . . . آكولينا ، اذهبي ، وأعيديها !

آكولينا : الجياد ؟

بطرس : ماذا ؟

آكولينا : على الفور .

(تخرج)

المشهد — ٢ —

« بطرس ، آنيسيا » .

بطرس : يا لَهُ من خامل ، هذا الولد ! إنه لا يُتْقِن عمله ! قبل أن يكلّف نفسه النهوض والـ . . . ماذا أقول ؟

آنيسيا : يحقّ لكَ الكلام ! أنتَ أكثرُ حركةً منه ، أنتَ ! يَنْتقِلُ من الموقد إلى المقعد ويتشدّد مع الآخرين !

بطرس : لو لم نتشدّدْ معكم أنتم ، لبحثْنا عنكم سنة في البيت ! آه ! ما هؤلاء الناس !

آنيسيا : أنت تحشر عَشر شَغلاتٍ معاً ثم تتذمّر بعد ذلك . ليس بالصعب على المرء أن يأمر وهو متمدّد على الموقد(١) .

بطرس ، متنهداً : لو لم يتسلّط المرضُ عليّ لما احتفظتُ به يوماً واحداً .

---

(١) متمدد على الموقد : في البيوت الخشبية الروسية ، كان الموقد واسعاً جداً وكان من الممكن النوم عليه .

(صوت آكولينا وهي تسوق الجياد ، يُسْمع صهيل المهر ، وتدخل الخيول من الباب الكبير . الأبوابُ تَصرُّ) .

بطرس : المِزاحُ ، هذا دأبُه ! آه ! لولا المرض لما احتفظتُ به ، حتماً !

آنيسيا ، تقلّده : لما احتفظتُ به ! . . أودُّ لو أراك تعملُ ،وبعد ذلك تستطيع أن تتحدّث .

المشهد – ٣ –

« بطرس ، آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا ، داخلةً : آه ! تعذّبتُ حتّى أدخلتها . فالحمار كان يرفض الدخولَ ، على عادته .

بطرس : ونيكيتا ، أين هو ؟

آكولينا : نيكيتا ؟ في الشارع .

بطرس : وماذا يفعل في الشارع ؟

آكولينا : ماذا يفعل ؟ هو في الزاوية ، يثرثر .

بطرس : آه ، مِن هذه ! لا ينتفع المرءُ منها بشيء ! ! . . . ومع مَنْ يُثرثر ؟

آكولينا ، ثقيلة السمع : ماذا ؟

(تصدر عن بطرس حركة تدلّ على الغيظ ؛ تُتابع آكولينا غزلها) .

المشهد — ٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، آينوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً على عجل ، لأمها : أبو نيكيتا وأمه هنا . هما يريدان أن يأخذاه إلى البيت . . عسى أن أموت إنْ لم يكن ذلك صحيحاً !

آنيسيا : صحيح ؟

آنيوتكا : صحيح ! عسى أن أموت ، على الفور ! (تضحك) . كنتُ مارةً وإذا نيكيتا يناديني . قال لي : وداعاً ، ، آنابافلوفنا ! لا تَنْسيْ أن تأتي لتتسلّي في عرسي . وقال لي : أنا ذاهبٌ من عندكم . . . » وأخذ يضحك .

آنيسيا ، لزوجها : أرأيتَ ! الناس ليسوا بحاجة شديدة إليكَ هنا ! هذا نيكيتا ينصرف من ذاته . وهو ، يقول : « سأطردُه ! »

بطرس : وماذا في ذلك ؟ ليَنْصرفْ ! ألن أجدَ غيره ؟

آنيسيا : والمال المسلّف ؟

(تتقدّم آنيوتكا إلى الباب ، تُصغي وتنصرف) .

المشهد — ٥ —

« آنيسيا ، بطرس ، آكولينا » .

بطرس ، مقطّباً حاجبيه : المال ! إن كان الأمرُ هكذا ، فسوف يعوّضني عنه بالعمل ، في هذا الصيف .

آنيسيا : نعم ، أنت مرتاح جداً لطرده . سيقلُّ مقدارُ الخبز المأكول ! وعلي أن أكدح طوال أيام الشتاء ، كالحصان العجوز المسكين . البنتُ ليست نشطةً في العمل ، وأنت تظلُّ متمدّداً على الموقد ، أنا أعرفكَ ؛ كفاك كلاماً !

بطرس : لا حاجة إلى اللعْلعة بلسانك قبل أن تعرفي ما الموضوع .

آنيسيا : الاصطبلُ مليءٌ بالماشية . فأنتَ لم تبع البقرة ، واحتفظت بالخراف للشتاء . ولا نكاد نجد الوقتَ الكافي لإعداد الماء والعلف ، وتريد فوق ذلك أن تَصْرِف الخادم ! حسناً ! وأنا أيضاً ، لا أريد أن أعمل فلاّحةً ، وسأتمدّد مثلك على الموقد ، وليذهبْ ذلك كله إلى الشيطان ! افعلْ ما تشاء !

بطرس ، لآكولينا : اذهبي وأحضري العلف ، مالكِ ! حان الوقتُ .

آكولينا : العلف ؟ طيّب !

(ترتدي قفطانها وتأخذ حبلاً) .

آنيسيا : لا أريدُ بعد الآن أن أشتغل لك ، كفاني شغلاً ! لا أريد . اشتغلْ أنت نفسك !

بطرس : كفى ! ماذا أكلتِ اليوم ؟ أنت كالخروف المسعور !

آنيسيا : أنتِ وحدك مسعورٌ ! لا يأتينا منك لا العملُ ولا الفرح ! أنتَ تلتهم حياتي ! آه ! أيها الكلبُ العجوز الراجف !

بطرس ، يبصق احتقاراً ويرتدي ثيابه : سامَحني الله ! سأذهبُ لأرى ما الأمر .

(ينصرف) .

آنيسيا : أيها الشيطان العَفِن !

المشهد — ٦ —

« آنيسيا ، آكولينا » .

آكولينا : لماذا تشتمين والدي ؟

آنيسيا : انصرفي ، يا حمقاء ، واخرسي !

آكولينا ، متقدمةً نحو الباب : أعرفُ لماذا تَشْتمينه ! أنت نفسك حمقاء ! كلبة ! أنا لا أخافك !

آنيسيا : ماذا تريدين ؟ (تنهض وتبحث عن شيء تضرب به آكولينا) . حذارِ ، سأضربكِ بالمذراة !

آكولينا ، فاتحةً الباب : كلبة ! شيطانة ! أنتِ شيطانة ! كلبة ! كلبة ! شيْطانة !

(تخرج)

المشهد — ٧ —

« آنيسيا ، وحدها » .

آنيسيا ، مشغولة البال : آه ! قال : تعاليْ إلى عرسي ! » ماذا يدبِّر ؟ سيزوّجونه ! حذارِ ، يا نيكيتا ! إن كانت هذه أفكارك ،

فسوف أتعهّد . . . . لا أستطيع أن أحيا بدونه، لن أدعَه يذهب .

المشهد — ٨ —

« آنيسيا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، يدخل بحذر ، يتطلّع إلى جميع الجهات ، وحين يرى آنيسيا وحدها ، يدنو منها على عجل ويقول بصوت خافت : يا صديقتي ، الأمورُ ليست على ما يُرام ! جاء والدي وهو يريد أن يأخذني معه . لقد أمرني بالعودة إلى البيت . قال لي : « سنزوّجك حتماً وستعود إلى البيت » .

آنيسيا : حسناً ! تزوّجْ ! ماذا يهمّني من ذلك ، أنا ؟

نيكيتا : آه ! صحيح ! أنا أسعى لتدارك الأمور وهي تحثّني على الزواج ! (غامزاً بعينه) ولمَ ذاك ؟ هل نسيتِ ؟

آنيسيا : نعم ، تزوّجْ ! فهذا لا يخصّني .

نيكيتا : لماذا تشاكسين ؟ ما هذا ؟ إنها لا تريد أن ألاطفها ! مابكِ ؟

آنيسيا : ما بي أنك تريد التخلّي عني ، وإذا كنتَ تريد التخلّي عني فأنا لم أعدْ بحاجة إليك ، هذه هي القصةُ كلها .

نيكيتا : مهلاً ، آنيسيا ؟ أأنساكِ ؟ أبداً ، لا ! لن أتخلّى عنكِ ، قطعاً ، وانظري كيف أفكرّ : حتّى عندما يزوّجونني فسأعودُ لألقاكِ ، بشرط ألا يحتجزوني في المنزل .

آنيسيا : وهل أحتاجُ إليك عندما تتزوّج ؟

نيكيتا : لكنْ ، ما الحيلة ، يا صديقتي ! لا سبيل ، مع ذلك ، للإفلات من مشيئة الأب .

آنيسيا : تُلقي كلَّ شيء على عاتق أبيك ، وكلُّ الأفكار منك . أنت تُحضِّر ذلك كله منذ زمن طويل مع حبيبتك القذرة « مارنكا » . هي التي خدعتْك . وهي لم تأتِ لوجه الله حين جاءت تحوم حول البيت ، في هذه الأيام الأخيرة .

نيكيتا : مارنكا ؟ أأنا بحاجة إليها ؟ هناك عددٌ لابأس به مثلها يُلاحقْنني !

آنيسيا : لمَ جاء أبوكَ إذن ؟ أنت وضعْتَ هذه الفكرةَ في رأسه ، كنتَ تخدعني .

(تبكي)

نيكيتا : آنيسيا ، أتؤمنين بالله ، نعم أم لا ؟ لم يخطر ببالي مثل هذا ، حتى ولا في الحلم . قطعاً ، لم أكُن أعلم شيئاً من ذلك . العجوز هو الذي يتحملُ مسؤوليةَ ذلك كله .

آنيسيا : إن كنتَ لا تريد ، فلا يمكن جرُّكَ بالرَّسَن .

نيكيتا : هكذا أفكرّ . لا سبيل إلى مقاومة الوالد . لكن هذه ليست مشيئتي .

آنيسيا : قاومْ ، هذا كل ما في الأمر .

نيكيتا : أعرفُ واحداً أخذ يقاوم هكذا ، فداعبوا ظهره بعصيّ البلدية . هذا بسيط جداً لكنني لا أشتهيه . هذا يُدغدغ ، على ما يبدو .

آنيسيا : كفى دعابةً ! اسمعْ ، يا نيكيتا ، إذا أخذْتَ مارنكا فلا أدري ما الذي سأفعله بنفسي . . . سأقتل نفسي ! لقد ارتكبتُ إثماً ، وخالفتُ القانون . . . ولا أستطيع العودة عن ذلك . وإذا ما ذهبتَ فسوف أتدبّر أمري بحيث . . .

نيكيتا : ولمَ أذهبُ ؟ لو كنتُ أريدُ الذهاب لذهبتُ منذ زمن بعيد . البارحة بالذات ، عرضَ علي ايفان سيميونيتش عروضه . . . يُريدني حوذياً . . . فلم أقبلْ . وأيةُ حياة مع ذلك ! كلُ الناس يريدونني ، وأنا أعلم ذلك جيداً ، آه ! لو لم تكوني تحبيّنني لاختلاف الأمرُ !

آنيسيا : تذكّرْ ذلك جيداً ! سيموتُ العجوز بين لحظة وأخرى ، وسنسوّي وضعنا . سنتزوّجُ وتصبح أنت السيد !

نيكيتا : لمَ التفكيرُ في أشياء بعيدة ؟ وماذا يهمّني من ذلك ؟ إني أعمل كما أعمل لنفسي . رب العمل يُحبني ،وربةُ العمل أيضاً ، وإذا كانت النساءُ يركضْن ورائي فلا يدَ لي في ذلك ، الأمر بسيطٌ جداً . . .

آنيسيا : ستحبّنُي ؟

نيكيتا ، يقبّلها : هكذا ! من كل قلبي ودائماً مثل . . .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا ، تدخل وترسم علامة الصليب طويلاً أمام الصورة المقدّسة ، نيكيتا وآنيسيا يفترقان بغتةً : لم أرَ شيئاً ! لم أسمعْ شيئاً !

داعبتَ امرأةً صغيرةً . حسناً ! العُجول ، يا إلهي ، تلعب هكذا في المرعى . . . ولمَ لا ؟ هذا هو الشباب ! وأنتَ ، يابني ، المعلمُ يناديكَ من الفناء .

نيكيتا : أنا ، جئتُ بحثاً عن الفأس .

ماتريونا : أعلمُ ، أعلم ، يا عزيزي ، ما الفأسُ التي تطلبها . إنها فأسٌ توجد ، على الأغلب ، قرب النساء .

نيكيتا ، ينحني ليتناول فأساً : طيب ، يا أمي ، الأمر جدٌّ إذن ! تريدين أن تزوّجيني ؟ أعتقدُ أنك مخطئة . وقبل كل شيء فأنا غيرُ حريص على ذلك .

ماتريونا : لمَ نزوّجكَ ، يا عزيزي ؟ عشْ كما كنتَ تعيش من قبل ! هذا كله من تخيّلاتِ العجوز . اذهبْ ، يا صغيري ، سندبّر أمورَنا بدونك .

نيكيتا : الامر مضحك مع ذلك . فتارة تريدون تزويجي ،وتارة أخرى لا تريدون . قطعاً ، إني لا أفهم شيئاً من ذلك .

المشهد — ١٠ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

آنيسيا : خالة ماتريونا ، هل تريدون حقاً أن تزوّجوه ؟

ماتريونا : وبأيّ شيء نزوّجه ، يا فراولتي الصغيرة ؟ كل هذا كلامٌ في الهواء ، من عجوزي . تَزْويـُجه ، تزويجـُه ، ليس أمراً بمقدوره . تعلمين أن الخيل لا تعاف الشوفان . إن كنّا بخير فلماذا نبحثُ عن الأفضل ؟ هذه هي حالتنا . ألستُ أرى إلى أين وصلتْ الأمورُ ؟

آنيسيا : حسناً ! خالة ماتريونا ، ليس لي أن أخبّئ نفسي عنك . أنتِ تعرفين كل شيء . لقد أثمتُ وأحببتُ ابنَكِ .

ماتريونا : آه ! يا له من شيء جديد ! وكأن الخالة ماتريونا لم تكن تعلمه ! أيه ! الخالة ماتريونا ، يابنتي ، امرأةٌ ماكرة ، سيّدة الماكرات ! الخالة ماتريونا ، يا فراولتي ، ترى على عُمْق مترٍ تحت الأرض . أعرفُ كلَّ شيء ، يا فراولتي ! أعرف لماذا تحتاج النساءُ إلى المسحوق المنوّم . وقد جئتُ بذلك معي (تفك طرفاً من شالها وتخرج منه كيساً من المسحوق) . ما يلزم ، أراه بوضوح ، وما لا يلزم ، لا أريد أن أعرفه ! الخالة ماتريونا كانت شابةً هي أيضاً ! ذلك انه لا بد ، مع عجوزي الأحمق ، من تدبير الأمور لنعيش . أعرفُ السبع والسبعين طريقةً ! إني أرى ، يا فراولتي ، أن عجوزكِ قد وضع قدماً في القبر . علامَ هو قادر ؟ اضربيه ضربةً بالمذراة لا تَسِلْ منه قطرةٌ دم . وفي الربيع ، على أبعد مدى ، سندفنه . لا بدّ لك حينئذ من أحدٍ في البيت . . .وابني . . . ألن يكون رجلاً نافعاً ؟ ليس أسوأ من الآخرين ، فما فائدتي من منع ابني عقد صفقةٍ رابحة ؟ أأنا عدوّةٌ ، ابني ؟

آنيسيا : بشرط أن يظلّ معنا ؟

ماتريونا : سيظلّ ، يا عصفورتي . تلك حماقات . تعرفين عجوزي . ليس له عقلٌ راجح ، لكن إذا دخلت الفكرةُ رأسه لم يُخرجْها منه سوى الشيطان بذاته .

آنيسيا : من أين جاء إذن هذا المشروع ؟

ماتريونا : أنت تعرفين ابننا ، يا فراولتي الصغيرة . تعرفين كيف يحبُّ النساء . ولا خلاف في أنه جذّاب الشخصية . . وكان ، كما تعلمين ، مستخدماً ، في السكة الحديدية ، وكانت هناك صبيّة ، يتيمة ، طاهية ، بدأت تلاحقُه .

آنيسيا : مارنكا ؟

ماتريونا : نعم ، هي ! عسى أن يحطّم الشلل عظامَها ! لا أستطيع أن أقول لك إن كان بينهما أو لم يكنْ بينهما شيء ، غير أن عجوزنا عَلِمَ بالأمر . أجاءت هي تثرثر أم أن الناس تحدّثوا عن ذلك ؟ . . .

آنيسيا : أهي جريئةٌ ، العاهرة !

ماتريونا : وإذا بالعجوز يتحمّس ! ذلك الغبيّ ! « سنزوّجه ، سنزوّجه ! للتكفير عن الإثم ! لِنعدْ به إلى البيت ، ولنزوّجْه ! » هكذا قال . وقلتُ كل ما بوسعي أن أقوله . فلم يُفد قولي شيئاً . عند ذاك قلت في نفسي : حسنا ! سأَقْلبُ لك مشروعَك » . تعلمين ، يا فراولتي الصغيرة ، أن هؤلاء الأغبياء ، يجب أن نوافقهم دائماً على ما يقولون ، وعندما نَنْتقل من القول إلى الفعل ، نَفْعل ما نشاء . في وقت قصير ، تستطيع المرأة أن تُقلّب في رأسها سبعاً وسبعين فكرةً . كيف تريدين أن يَفْهمونا ؟ قلتُ له حسناً ، يا صديقي ، هذه صفقة ممتازة ، لكن لا بدّ من

التفكير فيها . لنذهب إلى الولد ! وسنطلب مشورة بطرس اغناتيتش ، وسنرى ما يقوله . وها نحن قد جئنا !

آنيسيا : آه ! ما العمل الآن ، خالة ماتريونا ؟ وإذا ألزمه أبوه بذلك إلزاماً .

ماتريونا : الإلزام ؟ سندسّه تحت ذنب الكلب . لا تخافي . لن تتمّ القضية ! بعد قليل ، عندما نلتقي بعجوزك ، سأنخل كل ما يقوله نَخْلاً حتى لا يبقى منه شيء ، وإذا كنتُ جئتُ مع الأب فلكي أُنقذ المظاهرَ . وكيفَ إذن ؟ ابني يعوم في السعادة ، وهو مُقْبلٌ على سعادة أكبر ، ثم أزوّجه بعاهرة. لستُ غبيّة إلى هذا الحد ! .

آنيسيا : مارنكا جاءت تلاحقه إلى هنا . أتصدّقينني ، يا خالة ماتريونا ؟ عندما قيل لي : إنكم ستزوّجونه ، كان ذلك كأن سكّيناً غُرستْ في صدري . ظننتُ أنه يحبّها .

ماتريونا : آه ! عجباً ، يا فراولتي ، لا بدّ أن يكون مجنوناً حتى يحبّ قذرةً لا مأوى لها ولا مقرّ . نيكيتا شابٌ له تفكيره ! ويعرف مَنْ التي يجب أن يحبّها . وهكذا ، فبالنسبة إليك ، يا فراولتي ، لا تخشَيْ شيئاً ، لن نجيء به إلى البيت أبداً ، ولن نزوّجه أبداً . تعطوننا بعض الروبلات وسيبقى .

آنيسيا : يبدو لي أن ذهاب نيكيتا سيكون موتاً لي !

ماتريونا : حُبُّ الشباب ! لا شك في ذلك ، أنت امرأةٌ في شَرْخ الشباب وتعيشين مع هذا الأخرق ! . . .

آنيسيا : صدّقيني ، يا خالة ماتريونا ! كم يُقْرفني ، كم يُقْرفني ، هذا الكلب الحقير ! لم أعدْ أستطيع النظر إليه في وجهه !

ماتريونا : ليس هذا غريباً ! تعالي ، انظري . (تهمس وتتطلع إلى جميع الجهات) . ذهبتُ إلى صديق لي من أجل المسحوق . فأعطاني عقاراً لغايتين . انظري إليه . قال لي : « هذا مسحوق منوّم . أعْطِيه كيساً صغيراً منه وسوف ينام نوماً ثقيلا حتى يمكن أن ترقصي على بطنه » وأضاف : « وهذا عقارٌ إن أعْطيته إياه في الشراب لا يترك أيّة رائحة ، لكن له قوةً كبيرة ، وهو يُعطىَ على سبع مرات ، في كل مرة قبضة صغيرة . قال : تُعطيه إياه على سبع مرات ، وسوف تنالُ حريّتها .

آنيسيا : آوه ! ما هذا المسحوق ؟

ماتريونا : لا يترك أيَّ أثر . أَخذَ روبلاً منّي . قال لي : إنه لا يستطيع أن يبيعه بسعر أرخص ، لأن هذه المساحيق صعبةُ التركيب . دفعتُ الثمن من مالي ، يا فراولتي . إذا لم ترغبي فيه أخذْتُه إلى ميخايلوفنا .

آنيسيا : أوه ! لكن ربما نَتَجَ عن ذلك شرٌ ؟ . . .

ماتريونا : أيّ شر ، يا فراولتي ؟ الشرّ لو كان رَجلُكِ قوياً ، لكنْ لم يبق فيه سوى النَفَس ، ولا يستطيع أن يعيش . كثيراتٌ يفعلْن ذلك .

آنيسيا : آه ! يا رأسي المسكين ! أخشى كثيراً ، يا ماتريونا ، أن يُصيبنا سوءٌ . اوه ! لا ! لا !

ماتريونا : إذن سأعيد المسحوق معي .

آنيسيا : قالت إذن : يجب تذويبه في الماء مثل غيره من المساحيق ؟

ماتريونا : في الشاي ، أفضل . قال لي « لا يبقى منه أيُّ أثر ، وليس له رائحةٌ أو أي شيء آخر » . الذي باعني إياه رجلٌ ذكيٌّ .

آنيسيا ، تأخذ المسحوق : اوه ! يا رأسي المسكين ! أكنتُ أجازفُ وأُقدمُ على هذه الأشياء ، لو لا حياة الأشغال الشاقة التي أعيشُها .

ماتريونا : لا تَنْسَي الروبل ! وعدتُ العجوز بأن آتيه به .. إنه يجهد نفسه هو أيضاً .

آنيسيا : بلا ريب .

(تذهب نحو صوانها وتخفي فيه المسحوق) .

ماتريونا : خبّئيه جيداً ، يا فراولتي ، حتى لا يعرف أحدٌ عنه شيئاً . وإذ ما حدث شيءٌ — حَفِظَنا الله من ذلك — فقولي : هذا للحشرات . . . (تأخذ الروبل) . لأنه يَصْلحُ أيضاً للحشرات ! . . .

(تتوقّف عن الكلام) .

المشهد — ١١ —

« آنيسيا ، ماتريونا ، بطرس وآكيم» .

« يدخل آكيم ويرسم علامة الصليب وهو ينظر إلى الأيقونات المقدّسة » .

بطرس ، يدخل ويجلس : قاتَ ، إذن ، يا عم آكيم . . .

آكيم : أفضل ، يا اغناتيتش . . . لا بدّ من ذلك ، هذ أفضل ! حتى لا يجرّ علينا السوءَ ، بخلاعاته ! أود . . . أن أسلّم هذ الولد . . . العملَ ، وأنتَ ، إذا كنت ترى غير ذلك ... فسنحاول محاولة أخرى . . . أفضل !

بطرس : طيّب، طيّب ! اجلسْ ولنتحدّثْ (آكيم يجلس). إذنْ أنتَ تريد أن تزوّجه ؟

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج ، يا بطرس اغناتيتش ؛ أنتَ تعرف الضائقة التي نحن فيها ؛ كيف تريد منا أن نتزوج ونحن نتعذّبُ لنعيش بالتَقْتيِّر ؟ كيف تريد منا أن نزوّجه؟

بطرس : يا عذراء ! افعلوا أفضل ما يناسبكم .

ماتريونا : لسنا مستعجلين على الزواج . كما قلتُ لك . والرجال ليسوا مثل توت العليق ، إنهم لا يَسْقطون إذا زاد نضجُهم .

بطرس : إذا كانت المسألة مسألة زواج فهو شيء حسنٌ .

آكيم : نودّ ذلك . . . نعم . . . لأني لقيتُ عملاً صغيراً . . . في المدينة . . . نعم . . . مربُحاً .

ماتريونا : تُسمّيه عملاً ! تنظيف المراحيض ! كم تقيّأتُ ، كم تقيّأت ، في هذه الأيام الأخيرة ، عند عودته .

آكيم : في البداية ، نعم . . . كأنها . . . تزخم الأنف . . . لكنْ عندما نتعوّد . . . مثل ثفل العنب . . . ثم إن ذلك مربح

أيضاً . أما الرائحة ، نعم . . . فليس لنا أن نغتاظ منها ... نحنُ المساكين . . ثم . . بامكاننا تغيير ثيابنا . . . إذن ، أنت ترى ، أننا نود لو يكون نيكيتا في البيت . . . يشتغل في البيت شغْلَ البيت ، وأنا . . . أكسب عيشي في المدينة . . .

بطرس : تريد أن تحتفظ بابنك في البيت . . . أفهمُ هذا ، لكن المال المسلّف ، في هذه الحالة ؟ . . .

آكيم : صحيح ، صحيح ، يا اغناتيتش ! . . . كلامُك حقّ . . . مَنْ أَجّرَ نفسه فقد باعَها ! ليبقَ إلى آخر المدة . . . بمقدار المال فقط ، لكن بما أنه سيتزوج ، امنحْه عدة أيام . . . إن لاءمك هذا .

بطرس : هذا ممكن !

ماتريونا : المشكلة أننا غير متّفقيْن . وسأفتح نفسي أمامك ، يا بطرس اغناتيتش ، كما أفتحها أمام الله . . اقضِ بيني وبين رجلي . إنه يكررّ دائماً : « الزواج ! الزواج » . اسألْه : بِمَنْ ؟ . . . ليت الخطيبة كانت لائقةً . . . أأنا عدوةُ ابني ؟ لكنّ في البنت عيباً . . .

آكيم : هذا ، أنتِ محطئةٌ فيه . . . مخطئةٌ ، فهمتِ ، في إهانة هذه البنت ! مخطئة . . . لأنّها . . . هذه البنت . . . هذه البنت نفسها لحقتْها الإهانةُ من ابنك ! هناك إهانة . . . فهمت . . . هذه البنت . . . نعم !

بطرس : وما هذه الإهانة ؟

آكيم : وقع ذلك ، أتفهم ، . . مع ابني نيكيتا . . . مع نيكيتا ، نعم !

ماتريونا : كُفَّ عن الكلام ! لساني أكثر طلاقةً ، دعْني أتكلّم . كان ولدنا ، كما تعلم ، يشتغل قديماً في السكة الحديدية ، وهناك تعلّقتْ به هذه البنتُ التي لا تَسْوَى شيئاً ، كما تعلم . . . اسمها مارنكا ، وكانت طاهيةً لفرقة عمالها . هذه البنتُ تصرّح الآن أن ابننا نيكيتا قد خدعها . . . كما تقول .

بطرس : هذا عملٌ غير صالح .

ماتريونا : ذلك أنها بنتٌ غيرُ مستقيمة . إنها تتسكّع دائماً . . . مومسٌ حقيقية .

آكيم : هذه عادتكِ ، يا عجوز ! ليس الأمر كذلك . . . ليس كذلك أبداً . . . ليس كذلك ! .

ماتريونا : هذا كل ما تعرفُه من كلام ، يا نسري ! كذلك ، كذلك ! ما « كذلك » ؟ لا يعرف نفسه ما « كذلك » ! . لا تسألْني أنا ، يا بطرس اغناتيتش ، واسأل الناسَ عن أخبار هذه البنت . سيقول لك الناسُ الشيءَ نفسه . متسكّعةٌ قذرة .

بطرس ، لآكيم : طيّب ! يا عم آكيم ، إذا كان الأمرُ كذلك ، فلا داعي لتزويجه . ليست الكنةُ حذاءً . ننزعهُ متى شئنا .

آكيم ، مغضباً جداً: العجوز ، تتكلّم على البنت كذباً . . . نعم . . . كذباً . . . ! لأن البنت ، نعم . . . طيّبة . . . طيبة جداً ، البنت ! أنا أشفقُ عليها . . . نعم . . . أشفق عليها . . . تلك البنت !

ماتريونا : يا له من مَبرَّةٍ للإحسان ، يُحسن إلى الآخرين ويترك أهْلَه يموتون جميعاً ! يَشْفق على البنت ولا يشفق على ابنه . طيّب ! علّقْها في عنقك وتجوّلْ بها . دعْنا ! كفاك هَذْرا بهذه الحماقات !

آكيم : لا ، ليست حماقات !

ماتريونا : لا تقاطعْني ! دعْني أتكلّم .

آكيم ، مقاطعاً : لا ليست حماقات . أنتِ تحوّلين كل شيء على حسب هواكِ ، إن كان بصدد البنت أو بصددك . . . لكن الله ، أرأيتِ ، الله . . . سيحوّل كل شيء على حسب مشيئته . . . وسيكون أمرُ هذه . . . كذلك . . .

ماتريونا : ليس في الكلام معك سوى إتْعاب اللسان .

آكيم : بنتٌ شغّيلة . . . بنتٌ طيّبة . . . لنفسها ولمن حولها . . . نعم إنها تلائمنا ، مع فقرنا . . . ولن يكلّف العرسُ غاليا ... لكن أكثر ما يؤثّر فيّ هو الإهانةُ التي لحقتْ بهذه البنت ، نعم . . . يتيمةٌ ، هذه البنتُ ! والإهانة موجودة !

ماتريونا : هي حرةٌ في أن تقول . . .

آنيسيا : عم آكيم ، إذا كنتَ مستعداً لسماع النساء فَسَيْروين لك ما تشاء من الحماقات .

آكيم : والرب ؟ الرب الرحيم ؟ أليست مخلوقاً بشرياً ، هذه الفتاة ؟ هي مخلوقة في نظر الرب الرحيم . ! أليس هذا صحيحاً ؟

ماتريونا : ها قد انطلق مرة أخرى !

بطرس : عمّ آكيم ، يجب ألاّ تصدّق دائماً ما تقوله البنات .فابنكم لم يمتْ لِنُحْضِره ولنسْألْهُ إن كان ذلك صحيحاً . فلن يَحْلف زوراً . ادْعيه . (تنهض آنيسيا) . قولي له إن والده يطلبه .

المشهد — ١٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، ما عدا آنيسيا » .

ماتريونا : رأيُك صائب ، يا صديقي . ليوضحْ لنا الأمرَ الشابُ بنفسه . لأننا لانستطيع ، في هذه الأيام ، أن نزوّج ابننا بالقوّة ، ولا بد من أخذ رأيه أيضاً . لن يرضى أبداً بالزواج بها ، وبقبول العار . . . رأيي أن يبقى عندك يخدم سيّده ، بل لا حاجة بنا إلى أخْذه في الصيف ، إذ نستطيع أن نستأجر رجلاً . أعطنا ورقةً بعشرة روبلات واحتفظْ به .

بطرس : سنتحدّثُ عن ذلك فيما بعد ، يجب أن نسير في الأمور بالترتيب . ننتهي من شيء قبل أن نبدأ بالآخر .

آكيم : أنا قلتُ كل هذا . . . لأن هذا يوافقني . . . نحن نحاول دائماً أن نرتّب الأمور لأنفسنا على أفضل وجه . . . أما

الربُ ، نعم . . . فنحن ننساه . . . نفكّر في ما هو أفضل...
ونَبْغي جرّ كل شيء إلى مصلحتنا ، فنخطىء بحق أنفسنا ...
نفكرّ فيما هو أفضل . . . وبدون الرب الرحيم ، ينتجُ
عن ذلك الأسوأُ .

بطرس : نعم ، لا ريب ، الرب ،لا يجب أن ننساه .

آكيم : ينتج الأسوأ . . . بينما لو سرتم بحسب القوانين وبحسب
تعاليم الرب لملأ ذلك قلوبكم بالفرح ، نعم . . . هذا
يجذبكم إليه ! . . . هكذا فكرّتُ ! . . . أُزوّجُ الولدَ
لحمايته من الخطيئة . فيبقى هو في البيت ، أما أنا . . .
فسأشتغل في المدينة . . . العمل لطيف ومفيدٌ أيضاً .
هذا أفضل ، بحسب تعاليم الرب ! لأنها يتيمةٌ . وهكذا
مثلاً ، ففي الصيف الماضي أخذوا خشباً من عند الوكيل ...
ظنّوا أنهم يَخْدعونه بهذه الطريقة . . . والواقع أنهم
خدَعوه ، لكن الرب الرحيم . . . لم يخدعوه . . .
وحينئذ ! . . .

المشهد — ١٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وانيوتكا » .

نيكيتا : هل طلبتموني ؟

(يجلس ويتناول تبغه من جيبه) .

بطرس ، برفقٍ وبشيء من اللوم : مالكَ ! ألا تعرف أصول اللياقة ؟
الأب يريد أن يَستفهم منك ، وأنتَ تتسلّى بتبغك وتجاس !
تعال إلى هنا ، قفْ !

(يجلس نيكيتا أمام الطاولة ، ويتكىء بمرفقه عليها ، بعدم اكتراث ، ويبتسم) .

آكيم : هذا إذن ما ينتج . . . ذلك أذكَ يانيكيتا . . . هناك شكوى ، أتفهم ، شكوى . . .

نيكيتا : وممّن الشكوى ؟

آكيم : الشكوى ؟ من بنتٍ ، من يتيمةٍ . . . أتفهم ، الشكوى ... منها جاءت الشكوى . . . عليك . . . من مارينا نفسها ... نعم !

نيكيتا ، وهو ما يزال يبتسم : هذا مضحك حقاً ! أية شكوى هذه ؟ مَنْ حَمَلَها ؟ أهي نفسها التي جاءت بها ؟

آكيم : أنا . . . أسألكَ الآن . . . وأنت . . . يجب أن تجيبني ... ارتبطتَ بفتاة ، نعم . . . هل ارتبطتَ بها ؟

نيكيتا : لا أفهمُ قطعاً ما تسألني عنه .

آكيم : ارتكبتَ حماقات ، أليس كذلك ؟ معها . . . قُلْ ، حماقات ؟

نيكيتا : كانت هناك أشياء كثيرة . عندما نتضايق نلهو أحياناً مع الطاهية . . . نعزف على الأكورديون وهي ترقص ... . ما الحماقات التي تريدها غير هذا ؟

بطرس : لا تتهرّبْ من الجواب ، يا نيكيتا ، وجاوبْ كما ينبغي ، عمّا يسألك أبوكَ .

آكيم ، بلهجة مهيبة : نيكيتا ، تستطيع أن تخدع البشر ، لكنك لن تخدع الله . إذن فكّرْ في ذلك جيدا ، يا نيكيتا . . . لا تُقْدم على الكذب . . . هي يتيمة ، أتفهم . . . قد تُسيء إليها . . . يتيمة . . . نعم . . . تكلّمْ ، أفْضلُ لك . . .

نيكيتا : طيّب ! ليس لديّ ما أقوله . . . قطعاً ، قالتُ كلَّ شيء ، إذ ليس عندي شيء . . . (محتدّاً) . تستطيع هي أن تقول كلَّ ما تشاء ، كما لو كنتُ ميتاً . . . ألم تتكلّمْ هي أيضاً عن « فيدكا ميشيكين » ؟ أليس مسموحاً للمرء ، في هذه الأيام ، أن يلهو ؟ هي حرةٌ في أن تروي ما تشاء .

آكيم : أيه ! نيكيتا ! حذارِ ! . . . الكذب ينكشف دائماً . . . هل كان بينكما شيء ، نعم ، أم لا ؟

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : يا لهمْ من مِلْحاحين حقاً ! (بصوت عالٍ) . قالتُ لكَ : إنني لا أعلم شيئاً ، ولم يكن بيني وبينها شيء (غاضباً) وحقّ المسيح ، خذوا ! (يرسم علامة الصليب) . لن أغيرّ كلامي ! لست أعرف شيئاً على الإطلاق ! (صمت .يتابع نيكيتا كلامه وهو يحتدّ شيئاً فشيئاً). هل خطر لكم مثلاً أن تزوّجوني بها ؟ ستكون فضيحةً حقّاً . في هذه الأيام ، ليس لأحد الحقُّ في تزويج الناس بالقوّة . الأمر بسيطٌ جداً ، وأنا أقسمتُ على كل حال . لا أعرف شيئاً على الإطلاق .

ماتريونا ، مشيرةً إلى زوجها : انظروا إلى هذا الأبله ! إنه يصدّق كلَّ ما يُقال له . هل في الأمر ما يستحقّ أن يُذِلَّ من

أج'ه هذا الولدَ المسكين ! الأفضل له أن يتابع حياته عند معلّمه كما كان من قبل ، وسيُعطينا المعلم ، بسبب ضائقتنا ورقةً بعشرة روبلات ، وعندما يحين الوقت . . .

بطرس : ما قولُكَ الآن ، عم آكيم ؟

آكيم ، متمطّقاً بلسانه ، لأبنه : تذكَّرْ ذلك جيداً ، يا نيكيتا ، إن الصفعةَ التي يتُخيرها الرجلُ . . . لا تسقط جانباً ، بل على رأسه ! تذكّر ذلك ، لكي لا ينجح . عنه . . . هذا !

نيكيتا : ليس لي أن أتذكّر ذلك ، تذكّرْهُ أنت نفسك .

(يجلس)

انيوتكا : يجب أن أذهب لأروي ذلك لماما .

(تخرج)

المشهد - ١٤ -

« بطرس ، آكيم ، ماتريونا ونيكيتا » .

ماتريونا ، لبطرس : هو ، في كل شيء ، كما رأيتَ ، يا بطرس اغناتيتش ، مشوّش دائماً ! وإذا أدخلَ في رأسه شيئاً فلا سبيل إلى إرجاعه عنه ! كلُّ ما قلناه هو إزعاجُكَ دون نتيجة . أمّا بالنسبة إلى الولد ، فليَبْقَ هنا كما كان من قبل . احتفظ به فهو في خدمتك .

بطرس : وأنتَ ، عم آكيم ، ما قولُكَ ؟

آكيم : أنا ، نعم . . . لستُ أنتزعُ من الولد حرّيته . . . بشرط أن . . . هذا . . . كنتُ أريدُ ، كما ترى ، نعم . . .

ماتريونا : بمَ تهذر ؟ أنت نفسك لا تعرفُ بم . ليبقَ الولدُ كما كان من قبل ! وهو نفسُه لا يريد أن يترك عمله . لا حاجةَ بنا إليه . سنتدبّر أمورنا وحدنا .

بطرس : لكنْ ، يا عم آكيم ، إذا أخذْتَه في الصيف ، فسوف أستغني عنه في الشتاء . إذا أراد أن يبقى فَلْيَبْقَ السنةَ بكاملها .

ماتريونا : بالتأكيد ، نعم ، سيلتزم بالسنة كلها . وإذا احتجْنا نحن ، في الأعمال الصعبة ، إلى عوْنٍ ، استأجرْنا أحداً . أما الولدُ فليَبْقَ ، وستُعطينا أنتَ ورقةً بعشرة روبلات . . .

بطرس : لسنة تامة أيضاً ، إذن ؟

آكيم ، متنهّداً : إذا كان الأمرُ كذلكَ . . . نعم ، حينئذٍ . . . أترى . . . وهو كذلك .

ماتريونا : نعم ، لسنة كاملة ، بدءاً من سبت القديس دميتري(١) . أما الأجرة ، فلن تجور علينا فيها : وأما ورقة العشرة ، فهاتِها الآن . ساعدْنا !

(تنهض وتنحني أمام بطرس) .

---

(١) القديس دميتري : يقع هذا العيد في ٢٦ تشرين الأول .

المشهد — ١٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا وآنوتكا . آنيسيا تجلس على حدة »

بطرس : هيا ! الأمورُ على ما يرام ، وبما أنها سُوِّيتْ هكذا ، فلنذهبْ إلى النزل ولنشربْ كأساً ! هيا ، عم آكيم ، إلى كأسٍ من ماء الحياة !

آكيم : لن أتناول شيئاً . . . .

بطرس : تتناول الشاي ، إذن .

آكيم : الشاي . . . نعم . . . فأنا أُحبه .

بطرس : والمرأتان ستشربان شاياً أيضاً . نيكيتا ، أنتَ ، أدْخل الخراف واجمع القشّ .

نيكيتا : طيب

(يذهب الجميع ، ما عدا نيكيتا . الظلام يهبط) .

المشهد — ١٦ —

نيكيتا ، وحده ، مشعلاً سيجارةً : يا لهم من مِلْحاحين ! « قُلْ لنا ماذا تَفْعل مع البنات ! » إذا كان لا بدّ من حكاية كل شيء ، فلن تنتهي الحكاية ! كلّهم مجمعون على القول : « تزوّجْ ! » إن كان ينبغي الزواج بهنّ جميعاً ، فكم مرأةٍ ستتزوج ! لا داعي للزواج ، فأنا أعيش أفضل مما يعيش المتزوّج ! غيري يغار من المتزوج . . . هذا مضحك مع ذلك . . . كأنهم دفعوني إلى حَلْف اليمين دفعاً عندما رسمتُ علامة الصليب أمام الأيقونة المقدّسة . . . وبذلك

قطعتُ عليهم الطريق . . . يُقال : إن اليمين الكاذبة شيء خطير . . . يا للحماقة ! . . . ليست شيئاً . . . . كلام فارغ ، لا غير !

المشهد – ١٧ –

« نيكيتا ، آكولينا »

آكولينا ، تدخل وتضع حبْلَها على المقعد ، وتخلع قفطانها وتذهب إلى غرفة المهملات : كان يجب أن تُشعل الضوء . . .

نيكيتا : لكي انظر إليكِ ؟ إني أراك جيدا بدون الضوء .

آكولينا : أتريد أن تسكت !

المشهد – ١٨ –

« آكولينا ، نيكيتا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، تدخل على عجل ، بصوت خافت لنيكيتا : نيكيتا ، أسرعْ ، هناك مَنْ تسأل عنك . . . حقاً !

نيكيتا : مَنْ ؟

آنيوتكا : « مارينا » السكة الحديدية ، هي في الشارع ، في الزاوية .

نيكيتا : غير صحيح .

انيوتكا : اوه ! عسى أن أموت . . .

نيكيتا : وماذا تريدُ إذن ؟

انيوتكا : ترجوك أن تخرج . قالت : « ليس عندي سوى كلمة واحدة أريد أن أقولها له » . لكنها سألتني إن كان صحيحاً أنك ستذهب من عندنا فأجبتُها أنا : لا . وقالتُ لها : أبوه أراد أن يأخذه ، ويزوّجه ، لكنه رفض ، وسيبقى أيضاً سنةً أخرى . فقالت لي حينئذٍ : « أرسليه إليّ ، بجاه الله ! فعندي كلمةٌ سأقولها له . وهي تنتظر منذ وقت طويل . اذهبْ إليها إذن !

نيكيتا : لتغربْ من وجهي ! ولماذا أذهب ؟

انيوتكا : قالت إن لم يأتِ فسوف أدخلُ البيت ! عسى أن أموت إن لم تكن قالت : « سأدخل البيت ! » .

نيكيتا : لا تخافي ، ستنصرفُ عندما تتعب من الانتظار . . .

انيوتكا : قالت : وهل سيزوّجونه بآكولينا ؟ »

آكولينا ، تتقدّم لتأخذ مغزلها : مَنْ الذي سيزوّجونه بآكولينا ؟

انيوتكا : نيكيتا .

آكولينا : ليس الأمر سهلاً إلى هذا الحد ! مَنْ الذي قال هذا ؟

نيكيتا : يا عذراء ! يبْدو أن هذا يُقال . (ينظر إليها ويبتسم) ما رأيك ، يا آكولينا ، أترضين بي ؟

آكولينا : بكَ ؟ قبلُ ، ربّما ؛ أما الآن فلا .

نيكيتا : ولمَ لا لآن ؟

آكولينا : لأنك لن تحبني .

نيكيتا : ولمَ لا ؟

آكولينا : لن يُسْمَحَ لك بذلك .

نيكيتا : ومَنْ الذي لن يسمح لي ؟

آكولينا : خالتي . إنها تجدّف دائماً ، وهي تراقبُك طوال الوقت...

نيكيتا ، ضاحكاً : أرأيتم ! إنها تلاحظ بدقة .

آكولينا : أنا ! ليس لي ما ألاحظه ، لكنّي لستُ عمياء . لقد أوْسعتْ أبي شتماً اليوم العجوزُ العنيدة .

(تذهب إلى غرفة المهملات) .

آنيوتكا : نيكيتا ، انظرْ ! (تنظرُ إلى النافذة) . ها هي قد جاءت ! عسى أن أموت إن لم تكن هي ، سأنصرف .

(تخرج)

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، آكولينا ؛ في المكتب ، مارينا » .

مارينا : ما الذي تَفْعلُه بي ، يا نيكيتا ؟

نيكيتا : ما الذي أفعلُه ؟ إني لا أفعل شيئاً .

مارينا : تريد أن تتنكّر لي ؟

نيكيتا ، يقف ، مغضباً : تأتين إلى هنا ؟ لا مثيلَ لهذا العمل !

مارينا : آه ! نيكيتا !

نيكيتا : انتنّ مضحكاتٌ ، حقاً ! ماذا جئتِ تفعلين هنا ؟

مارينا : نيكيتا !

نيكيتا : نعم ، أنا نيكيتا ! ماذا تريدين ؟ انصرفي ، قلتُ لكِ !

مارينا : نعم ، أرى أنك تريد أن تتخلّى عني . . تريد أن تنساني . .

نيكيتا : وما الذي عليّ أن أتذكّره ؟ هي نفسها لا تعرف ما هو ؟ كنتِ في الشارع ، وأرسلتِ آنيوتكا . . . فلمْ أذهبْ . . . أنت ترْين إذن أنني لستُ بحاجةٍ إليك ، بكل بساطة . حسناً ! انصرفي إذن !

مارينا : لستَ بحاجة ! الآن لم تعد بحاجة إلي ! ظننتُ أنك ستحبّني ، والآن ، لم تعد بحاجة إليّ ، بعد أن قَضَيْتَ عليّ !

نيكيتا : كل هذا ، كلامٌ لا يقدّم ولا يؤخّر ، حماقات ! أنتِ التي جئتِ وأخبرتِ أبي ؟ انصرفي ، انصرفي !

مارينا : أنت تعلم جيداً أني لم أحبّ غيرك . ولن أغضب سواء تزوجتَني أم لم تتزوجني . . . لكنْ بما أنني لم أُخطىء معك ، لمَ لم تعدْ تَحبّني ؟ لماذا ؟

نيكيتا : ينبغي ألا نتكلّم كلاماً لا جدوى منه ! انصرفي ! اوه ! الغبّيات ، كلهن مجنونات !

مارينا : ما يؤلمُني . . . لا أن تكون قد خدعتَني حين وعدْتني بالزواج ، بل لأنك لم تعدْ تحبّني . . . وليس هذا فقط . . . بل لأنك فضّلْتَ علي أخرى ، وأنا أعرف مَنْ هي ! . . .

نيكيتا ، يتقدّم نحو وهو بادي الغضب : لا داعي لكثرة الكلام

معكنّ ، أنتن النساء ، فأنتنّ لا تُذْعِنّ للحق أبداً . قلتُ لكِ انصرفي ، وإلا انتهت الأمور نهاية سيئة !

ماريينا : نهاية سيئة ؟ لعلك تريد أن تَضْربني ؟ حسناً ! اضربْني ! لمَ تُديرُ وجهَك ؟ أيه ! نيكيتا !

نيكيتا : قطعاً ، ليس هذا لائقاً . . . قد يأتي أحدٌ . ثمّ ما فائدةُ الكلام ؟

مارينا : انتهى الأمرُ ، إذن ؟ ولم يبقَ شيءٌ ! تأمرُني أن أنسى ؟ حسناً ! تذكّر ، يانيكيتا ! كنتُ أحافظ على شرفي كما أحافظ على بؤبؤ عيني ، فقضيتَ عليّ من أجل لا شيء ، وخدعْتني ، ولم ترأفْ بيتيمة . . . (تبكي) . تنكّرتَ لي وقتلْتَني ، ومع ذلك فلستُ حاقدةً عليك . ليحاسبْك الله ! إذا وجدتَ خيراً مني فانسَني ، وإذا وجدت أسوأ فتذكّرْني ! وسوف تتذكّرني ، يانيكيتا ! وداعاً ، بما أن الأمر كذلك ! آه ! كم كنتُ أحبّك ! وداعاً ، لآخر مرة !

(تريد أن تقبّله وتمسك رأسه بيديها) .

نيكيتا ، متخلّصاً منها : كفى ثرثرةً ! إذا كنتِ لا تريدين أن تنصرفي ، فأنا سأنصرف . وابقي هنا .

مارينا ، ترسل صرخة : وحش ! (على عتبة الباب) لن يمنحك الله السعادة !

(تخرج وهي تبكي) .

المشهد — ٢٠ —

« نيكيتا ، آكولينا » .

آكولينا ، خارجة من غرفة المهملات : يا لك من كاب ، نيكيتا !

نيكيتا : لماذا ؟

آكولينا : كم بكت !

(تبكي)

نيكيتا : وماذا يهمك من ذلك ؟

آكولينا : ماذا يهمني ! أهنتها ، وسوف تهينني كذلك أيضاً ، أيها الكاب !

(تعود إلى المكتب) .

المشهد — ٢١ —

« نيكيتا ، وحده » .

نيكيتا ، بعد صمت : يا لها من جذابة ! أحبّ النساء كما أحب السكر ، لكن ما أكثر الخطايا معهن ، آه ! . . . لا نهاية لها ! . .

ستار

الفصل الثاني

يُمثّل المسرحُ الشارعَ وبيت بطرس الخشبي . إلى اليسار ، البيت الخشبي وله مصطبة ودرج في الوسط. إلى اليمين باب العربات وزاوية من الفناء . في هذه الزاوية ، آنيسيا تَنْفُشُ القنب . بين الفصل الأول والفصل الثاني ستة أشهر .

المشهد - ١ -

« آنيسيا ، وحدها »

آنيسيا ، تتوقف وتصغي : هناك شيء آخر يطنّ ؟ لا بد أنه نزل عن الموقد .

المشهد - ٢ -

« آنيسيا ، آكولينا »

« تدخل آكولينا حاملةً سطلين معلقين بقضيب خشبي » .

آنيسيا : هو ينادي . اذهبي وانظري ماذا يريد . ها هوذا يزعق .

آكولينا : وأنتِ ؟

آنيسيا : قلتُ لكِ : اذهبي !

« تدخل آكولينا البيت »

المشهد – ٣ –

« آنيسيا وحدها »

أنهكني . . . لا يريد أن يقول أين وضع ماله . أمس بالذات ، كان في الرواق ، لعله خبأه فيه ؛ أما اليوم فلا أعرف أين . . . ومن حسن الحظ أنه لم يجرؤ على الانفصال عنه وأن المال ما يزال في البيت . آه ! ليتني أجده ! أمس كان المال معه ؛ واليوم لا أعرف أين هو ! . . آه ! لقد أرهقني .

المشهد – ٤ –

« آنيسيا ، آكولينا » .

« آكولينا تخرج من البيت الخشبي وهي تربط أطراف شالها »

آنيسيا : إلى أين تذهبين :

آكولينا : إلى أين أذهب ؟ يريد أن أذهب لأُحضر العمة مارفا . قال لي : « اذهبي وأحضري أختي ، سأموت ! عندي لها كلمة ! » .

آنيسيا ، **بينها وبين نفسها** : يرسلها لتحضر أخته ! اوه ! يا رأسي . اوه ! ينوي أن يسلمها ماله . ما العمل ؟ (**لآكولينا**) . لا تخرجي ! إلى أين تذهبين ؟

آكولينا : أُحضر العمة .

آنيسيا : قلتُ لكِ : لا تذهبي إليها . سأذهب بنفسي . الأصح

أن تذهبي إلى النهر لتنظيف الغسيل ، وإلاّ فلن يتسنّى لك أن تنتهي قبل الليل .

آكولينا : لكنه أمرني بذلك . . .

آنيسيا : اذهبي إلى حيث أرسلتُك . أكرر عليك أنني سأذهب بنفسي لإحضار مارفا . لاتنسي أن تأخذي أن القمصان المنشّفة على السياج .

آكولينا : القمصان ؟ أنت لن تذهبي إليها وهو قد أمر بذلك .

آنيسيا : قلتُ لكِ : إنني سأذهب . أين آنيوتكا ؟

آكولينا : آنيوتكا ؟ إنها تحرس العجول .

آنيسيا : أرسليها إلي . فلن تخرج العجول .

(آكولينا تلمّ الغسيل وتخرج)

المشهد – ٥ –

« آنيسيا ، وحدها » .

إن لم أذهبْ إليها فسوف يغضب ؛ وإن ذهبتُ سوف يُسلّمها المال . وستضيع جهودي سدىً . لا أدري ماذا أفعل . سيتفجرّ رأسي !

(تتابع عملها) .

المشهد – ٦ –

« آنيسيا ، ماتريونا »

« تدخل ماتريونا ومعها قضيب ، تحمل سقطاً صغيراً » .

ماتريونا : كان الله في عونك ، يا فراولتي !

(تلتفت آنيسيا ، وترمي بشغلها ، وتصفق بيديها فرحاً)

آنيسيا : ما كنتُ انتظر مجيئكَ ، يا خالة ! الرب هو الذي أرسلكِ في الوقت المناسب !

ماتريونا : ولمَ ذاك ؟

آنيسيا : طار صوابي . . . يا للمصيبة !

ماتريونا : ما بك ؟ ما يزال حيّاً على ما يُقال ؟

آنيسيا : آه ! اسكتي ، إنه لا يحيا ولا يموت !

ماتريونا : والمال؟ ألم يسلمه الى أحد ؟

آنيسيا : قبل قليل ، بعثَ يُحضر أخته مارفا لا بد أن يكون ذلك بصدد المال .

ماتريونا : بالطبع . ألا يكون قد سلّمه الى أحد ؟

آنيسيا : لا ، لا يوجد أحد . . أنا أراقبه كالعقاب . . .

ماتريونا : وأين المالُ إذن ؟

آنيسيا : لا يقول أين . ولم أفلح في معرفة ذلك . إنه يغيّر مخابئه دائماً . أنا متضايقة بسبب آكولينا . . . هي غبية ، لكنها ترصدُني ، أيضاً ، وتقوم بالحراسة ! يا لرأسي المسكين ! أنا منهكة !

ماتريونا : إيه ! يا فراولتي ، سيَسْحبُ المالَ من تحت أنفكِ ، ثم تبكين عليه بقيّة عمرك . سيطردونك . . . دون أن تحصلي على شيء . وتكونين قد قَضَيْتِ حياتك ، يا

عزيزتي ، تكدّين حول هذا الشحيح . حتى إذا صرتِ أرملةً وجب عليكِ أن تتسوّلي .

آنيسيا : اسكتي ، يا خالة ! قلبي يتمزّق . لا أدري كيف أعمل . بل لا أدري مَنْ أستشير . حدّثتُ نيكيتا عن ذلك ، لكنه لا يجسر على التدخل في هذه القضية . قال لي أمس فقط : إن المال تحت الأرض .

ماتريونا : حسناً ! وهل فتّشتِ عنه ؟

آنيسيا : غير ممكن . فهو دائماً هنا . وعلى حَسْب ما استطعتُ أن أرى ، إنه يحمل المال مرةً معه ، ومرةً أخرى يُخبئه .

ماتريونا : تذكّري جيداً ، يا بنتي ، أنك إذا أخطأتِ الهدف هذه المرة ، فلا سبيل إلى إصلاح الخطأ طوال حياتك . (بصوت منخفض) . هل أعطيته شاياً ثقيلاً ؟

آنيسيا : أوه !

(تريد أن تتكلم ، لكنها تسكت عندما ترى جارتها) .

المشهد — ٧ —

« المرأتان ، غرّابة مرّتْ أمام البيت الخشبي وسمعت صراخاً » .

العرّابة ، لآنيسيا: آنيسيا ! يا آنيسيا ! أليس رَجلُكِ هو الذي ينادي ؟

آنيسيا : إنه يسعل دائماً هكذا ، فكأنه يصرخ . حالتهُ سيئة .

العرابة ، تتقدم نحو ماتريونا : صباح الخير ، أيتها الجَدّة العزيزة ، من أين جئتِ ؟ .

ماتريونا : من منزلي ، يا عزيزتي . جئتُ أستخبرُ عن ابني . وقد حملتُ إليه قمصاناً . تعلمين ، الناس يفكّرون كثيراً في أبنائهم .

العرابة : طبيعي . (لآنيسيا) : أردتُ ، يا اشبينتي ، أن أغسل الأغطية . لكنني أعتقد أن الأوان لم يحن بعد . فلم يبدأ أحدٌ .

آنيسيا : لمَ العجلة ؟

ماتريونا : هل اعترفَ ؟

آنيسيا : نعم ، جاء الكاهن أمس .

العرابة ، لماتريونا : وأنا أيضاً ، ألقيتُ عليه نظرة خاطفة أمس . لا أدري كيف يعيش . فكم نحلَ جسمُه ! أمس ، كان يُحتضر حقا . . . فوضعناه تحت الأيقونة المقدّسة ، وبكيناه ، وتهيّأنا لغسله . . .

آنيسيا : ثم عاش ! نهض وأخذ يتجوّل .

ماتريونا : هل مُسِحَ المسحة الأخيرة ؟

آنيسيا : نُصِحْنا بذلك . إن ظلّ حياً فسوف نرسلُ غداً مَنْ يُحضِرَ الكاهن .

العرّابة : لا شك أن ذلك مزعجٌ لكِ ، يا صغيرتي آنيسيا . صَدقَ قولُهم : المريضُ حقاً ليس من يلزم السرير بل الذي حول السرير .

آنيسيا : يجب أن ينتهي ذلك ، على كل حال ، بشكل أو بآخر .

العرابة : بالتأكيد ! فها هو ذا يحتضر منذ سنة ! إنه يُقيِّد يديك .

ماتريونا : وليس مبهجاً أيضاً أن تصبح المرأة أرملةً . هذا حسن عندما تكون شابة ، أما عندما تكبر فهي لا تجد مَنْ يَرْثي لها . ليست الشيخوخةُ فرحاً . انظرا إليّ مثلاً . لستُ كبيرة وأنا منهكةٌ . لستُ أحسُّ بساقيّ . أين ابني ؟

آنيسيا : إنه يحرث . ادخلي ، سنسخّن السماور . وستستعيدين قواك بفنجان من الشاي .

ماتريونا ، جالسةً : حقاً ، يا عزيزتي ، إني متعبة . أما المسحة الأخيرة فهي ضرورية حتماً . يُقال إنها نافعة للنَفْس .

آنيسيا : نعم ، سنُرسل غداً . . .

ماتريونا : الأمور أفضل هكذا . وعندنا عرسٌ ، يابنتي .

العرابة : وكيف ؟ في الربيع ؟

ماتريونا : صدق المثلُ : « عندما يتزوج الفقير ، يَقْصُرُ ليلُه » . سيمون ماتفيتيش سيتزوج مارنيا .

آنيسيا : وجدتْ سعادَتَها على كل حال .

العرابة : أعتقدُ أنه أرمل . وتزوّجها من أجل أولاده .

ماتريونا : له أربعة . أية فتاةٍ شريفةٍ ، ولو قليلاً ، تقبل بذلك ؟ تزوّجتْه ، وهي مسرورة . ياعُذراء ! كانوا يشربون الخمر ويبدو أن في المسألة شُبهة . . . كانت الكأس مثقوبةً . . .

العرابة : نعم ، في الواقع ، كان الناس يتحدّثون عن ذلك ! والزوج أهو في بحبوحة .

ماتريونا : هم يعيشون عيشةً مقبولةً حتى الآن .

العرابة : قليلاتٌ الفتياتُ اللواتي يقبلن الأولاد ؛ عندنا مثلاً ميشيل ، هو فلاحٌ ، يا أمي . . .

صوتُ فلاح : ايه ! ماڤرا ، أين انقلعْتِ ؟ أرجعي البقرة !

(تنصرف الجارة) .

المشهد — ٨ —

« آنيسيا ، ماتريونا »

ماتريونا : تتكلّم بلهجة ثابتة ، أثناء انصراف الجارة : لقد زوّجوها ، يابنتي . وهي الآن بعيدةٌ عن الخطيئة ، على الأقل ، ولن تساور الشكوكُ زوجي الغبي حول نيكيتا (ثم تقول فجأةً ، وبصوت خافت) . ها هي ذي انصرفتْ ! قولي لي ! هل سَقَيْتهِ الشاي ؟

آنيسيا : لا تذكّريني بذلك . الأفضل أن يموت وحده . إنه لا يموت مع ذلك ، وكل ما فعلتهُ أني أثقلتُ ضميري ، بخطيئة . اوه ! يا لرأسي ! لمَ أعطيتني هذه المساحيق ؟

ماتريونا : هذه المساحيق ، يابنتي ، منوّمةٌ ، فلماذا لا تعطينه منها ؟ لا ضرر في ذلك .

آنيسيا : لا أتكلّم عن التي تنوّم ، بل عن الأخرى ، البيضاء . . .

ماتريونا : والبيضاء ، يا فراولتي ، مساحيق طبيّة .

آنيسيا ، متنهّدة : أعلم، لكنني خائفة مع ذلك . اوه! لو تعلمين كم أجْهدَني . . .

ماتريونا : وهل وضعتِ له كثيراً منها ؟

آنيسيا : اعطيتهُ مرّتين ؟

ماتريونا : ألم تلاحظي شيئاً ؟

آنيسيا : غمستُ فيها طرف لساني . فأحسستُ بمرارةٍ خفيفة . أما هو فأخذها في الشاي وقال : « حتى الشايُ عفنٌ ! فقلتُ له أنا : « كل شيء مر في فم المرضى » أوه ! يا خالتي ! كم شعرتُ بالضيق !

ماتريونا: لا تفكّري في ذلك ! فعندما نفكّر في ذلك ، يزدادُ ضيقنا !

آنيسيا : كان الأفضل ألا تُعطيني إياها وألاّ تدفعيني إلى الخطيئة . عندما أتذكّر ذلك يتفتّتُ قلبي . لمَ أعطيتني إياها ؟

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ، مهلاً . حفظَكِ الله ، يا فراولتي ! لم تُلقين التبعة كلها عليّ؟ لاتجعلي من افكارك افكاراً لي . إذا ما حدث شيءٌ أياً كان ، فسأغسل يديّ منه . وسأقول : إني لا أعرف شيئاً على الإطلاق . سأقبّل الصليب وسأحْلفُ أني لم أر المساحيقَ المذكورة ، بل لم أسمعْ بها . فكّري في ذلك جيداً ، يابنتي ! كنّا نتحدّثُ عنك مؤخّراً : « كم تتألّم ، المسكينة ! بنت الزوج غبيّة ، والرجلُ

عـَفـِنٌ ، لـَزْقةٌ حقيقية ! ما الشيءُ الحسن الذي يطلع من مثل هذه الحياة ! »

آنيسيا : أما أنا فإن أتراجع ! فليس في هذه الحياة التي أحياها ما يستوجب التورط في مثل هذه المغامرة فقط ، بل ما يستوجب أن أشنق نفسي أو أخنقها ! وهل هذه حياةٌ ؟

ماتريونا : ممتاز ! ليس لديك وقتٌ تضيعينه الآن ! يجب أن تعثري على المال بطريقة أو بأخرى ويجب أن تـَسـْقيه شاياً .

آنيسيا : أوه ! يا لرأسي المسـْكين ! لا أدري ما أفعل . أُحسُّ بالضيق . آه ! ليته يموتُ من ذاته ! لأني أخاف أن أُثقل ضميري .

ماتريونا ، بخبث : لماذا لا يقول أين المال ؟ أيـَبـْغي أن يحمله معه حتى لا يستفيد منه الآخرون ؟ أعـَدْلٌ هذا ؟ حـَفـِظـَنا اللهُ ! الكثير من المال سيضيع وسيفقدهُ الجميع ! أليس هذا خطيئةً ! ماذا يفعل إذن !

آنيسيا : لم أعدْ أعرفُ شيئاً أنا نفسي . نـَفـَدتْ قواي !

ماتريونا : ما الذي لا تعرفينه ! المسألة واضحة ! إن أخطأتِ الهدفَ هذه المرة ، ندمتِ على ذلك طوال حياتك . سيسلـّم المال إلى أخته ، وستظلـّين على الأرض .

آنيسيا : لقد أرسل يُحضرها . يجب أن أذهب إليها .

ماتريونا : انتظري قبل أن تذهبي . سخـّني السماور ، قبل كل شيء ؛

سَنسقيه شاياً ، وسنبحث عن المال معاً . ربما أفلحنا في العثور عليه .

آنيسيا : وإن وقع لنا سوءٌ ؟

ماتريونا : وماذا تنوين أن تفعلي إذن ؟ لا يمكنك أن تظلي مكتوفة اليدين . أتقنعين بالنظر إلى المال دون أن تمسّيه . تصرّفي !

آنيسيا : سأذهب إذن لأغلي السماور .

ماتريونا : اذهبي ، يا فراولتي ، وافعلي ما يجبُ فعلُه حتى لا تأسفي على شيء . (تذهب آنيسيا . تناديها ماتريونا) . وإياك أن تقولي شيئاً عن ذلك كله لنيكيتا . تعرفين كم هو بسيط . فعسى ألا يعلم شيئاً عن موضوع المساحيق ، لأني لا أدري ما الذي يُقْدم عليه لو عَرفَ . . إنه حسّاسٌ جداً ، ولم يكن يجرؤ على ذبح دجاجة . لا تخبريه . فلن يفهم شيئاً . . .

(تتوقّف مرتعبةً وهي ترى بطرس يظهر على العتبة) .

المشهد — ٩ —

« **المرأتان ، بطرس** » .

بطرس ، يتشبّث بإطار الباب ، وبصوت ضعيف : ألا سبيلَ إليكِ ، اوه ! آنيسيا ، مَنْ هنا ؟

(يسقط على مقعد) .

آنيسيا ، خارجةً من ركنها : لمَ خرجتَ ؟ كان من الأفضل لك أن تظل حيث كنتَ .

بطرس : هل ذهبت البنتُ لإحضار مارفا ؟ . . . إني أتألّم . . .
اوه ! وإذا جاء الموت ! . . .

آنيسيا : لا وقتَ عند البنت . أرسلتُها إلى النهر . انتظرْ قليلاً .
إذا ما انتهيتُ ذهبتُ بنفسي .

بطرس : أرسلي آنيوتكا ! . . . أين هي ! اوه ! إني أتألّم ! اوه !
هذه هي منيّتي ! . . .

آنيسيا : أرسلتُ مَنْ يُحضرها .

بطرس : أوه ! وأين هي ؟

آنيسيا : أين هي ؟ ليُحطّم الشالُ عظامها !

بطرس : اوه ! تلاشتْ قواي ! . . . واحترقت أحشائي . . .
كأنني أُثْقَبُ بمخرز ! لمَ تتركونني وحدي ، كالكلب؟. . .
ولستُ أجد مَنْ يَسْقيني . . . اوه ! ... أرسلي آنيوتكا . . .

آنيسيا : ها هي ذي ! آنيوتكا ، اذهبي إلى أبيك .

المشهد — ١٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، انيوتكا تدخل على عجل ، تذهب آنيسيا إلى الركن » .

بطرس : اذهبي . . . اوه ! . . . أحضري . . . العمة مارفا . . .
قولي لها . . . أبي يدعوك . . . لتأتِ . . . أنا بحاجةٍ إليها . . .

آنيوتكا : حسناً ! . . .

بطرس : انتظري ! . . . قولي لها : أن تستعجل . . . قولي لها : إنني أموت . . . اوه ! . . .

آنيوتكا : سآخذ شالي وسأركض إليها !

(تخرج راكضة) .

المشهد — ١١ —

« بطرس ، آنيسيا ، ماتريونا » .

ماتريونا ، غامزةً بعينها : هيا ! يابنتي ! لا تنسي شغلَكِ : إذهبي إلى البيت وابحثي في كل مكان . . . افعلي كما تفعل الكلاب عندما تفلّي نفسها من البراغيث . نقّبي في كل مكان ، وأنا سأفتش البيتَ بعد قليل .

آنيسيا : أُحسُّ معكِ بشجاعةٍ أكبر . (تتقدم نحو مطلع الدرج ، لبطرس) هل أغلي السماور ؟ الخالة ماتريونا جاءت لترى ابنها ، فتناولا الشاي معا أنتَ وهي .

بطرس : حسناً ! افعلي ! . . .

(تدخل آنيسيا البيت الخشبي) .

المشهد — ١٢ —

« ، بطرس، ماتريونا ، ماتريونا تتقدّم نحو مطلع الدرج »

بطرس : طاب يومُكِ !

ماتريونا : طاب يومُكَ ، يا وليَّ نعمتي ! طاب يومك ، يا عزيزي !

أرى أنك ما تزال مريضاً . كم يرثي لك عجوزي . قال لي : « اذهبي واستخبري عنه » . وهو يسلّم عاياكَ .

(تنحني مرة أخرى) .

بطرس : أنا أموت . . .

ماتريونا : نعم ، فعندما أنظر إليك ، يتّضح لي أن المرض لا يَهيم في أواسط الغابات ، بل بين الناس . لقد نحلْتَ ، نحلْتَ حقاً ، يا عزيزي ! والمرضُ لا يُزيّن صاحبَه . يا عذراء !

بطرس : موتي قد حان . . .

ماتريونا : هذه مشيئة الرب ، يابطرس اغناتيتش ! لقد مُنْحتَ الأسرارَ ، بعون الله ، وستُمْسَحُ المسحة الأخيرة . . . وامرأتك ، لحسن الحظ ، ذكيّةٌ . . . ستُدفَن وستُقام لك وليمة الموتى ، كل ذلك بشكل لائق ، وسيدير البيتَ ابني ، في هذه الأثناء .

بطرس : لكنْ مَنْ سيأمُر ؟ . . . فزوجتي لا تعرفُ الجِدَّ ... إنها مشغولةٌ بالحماقات . . . ذلك أني أعرفُ كل شيء ، أنا . . . أعرف كل شيء . . . البنتُ بسيطةٌ قليلاً . . . وهي شابةٌ أيضاً . . . أدرتُ بيتي . . . شيئاً فشيئاً . . . ولن يكون هناك مَنْ يُديره . . . هذا يؤلمني !

(يبكي)

ماتريونا : إن كان ذلك بسبب المال ، فأنت تستطيع أن تتصرّف ...

بطرس ، لآنيسيا التي في البيت الخشبي : وآنيوتكا ! هل ذَهبتْ ؟

ماتريونا ، مخاطبة نفسها : ما يزال يتذكّر .

آنيسيا ، من داخل البيت الخشبي : ستذهب في الحال . ادخلْ إلى البيت . سأساعدك .

بطرس : دعيني هنا . . . لآخر مرة . . . الهواءُ ثقيلٌ في الداخل . . . إني أتألم . . . اوه ! أَحْرقَ لي ذلك قلبي . . . أودّ لو أموت . . .

ماتريونا : إذا لم يَسْتلّ اللهُ الروحَ فهي لا تخرجُ من ذاتها . الحياةُ والموت بيد الله ، يا بطرس اغناتيتش ، ولا نستطيع أن نتنبّأ بموتنا . فقد نشفى . وهكذا كان عندنا فلاح يُحتضر . . .

بطرس : لا ! أحسّ أنني سأموتُ اليوم . . . أُحسّ بذلك !

(يستند إلى الجدار ويغمض عينيه) .

المشهد — ١٣ —

« بطرس ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا : ماذا ؟ أتدخل أم لا تدخل ؟ طال انتظاري لك ، يا بطرس ! إيه ! بطرس !

ماتريونا : تنسحب قليلا ، وتنادي آنيسيا باصبعها : وجدْتِ ؟

آنيسيا ، نازلةً الدرج ، لماتريونا : لاشيء !

ماتريونا : هل فتّشتِ جيداً ؟ تحت الأرض الخشبية ؟

آنيسيا : لم أجدْه هناك أيضاً . لعله في مخزن الغلال . لقد صعد إليه أمس .

ماتريونا : فتّشي ، فتشي في كل مكان ! . . . في جميع الزوايا ...
أظنّه سيموت اليوم . . . وحده . أظافره زرقاء ولونه
غدا كاون الأرض . هل السماور جاهز ؟

آنيسيا : سيَغْلي .

المشهد – ١٤ –

« الأشخاص أنفسهم ، يصل نيكيتا من الجانب ، وعلى حصان إن أمكن ، يقترب من باب العربات » .

نيكيتا : لأمه ، طاب يومُكِ ، يا أمي . هل الجميعُ بخيرٍ في البيت ؟

ماتريونا : نعم ، الحمدُ لله !

نيكيتا : والمعلمُ ، كيف حاله ؟

ماتريونا : تكلّمْ بصوت خافت ، ها هو ذا !

(تشير إلى مطلع الدرج) .

نيكيتا : حسناً ! ليَبْقَ ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

بطرس ، يفتح عينيه : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ، تعال إلى هنا !

(يقترب نيكيتا ، وتتحدّث آنيسيا هي وماتريونا بصوت خافت) .

لم عدتَ مبكّراً ؟

نيكيتا : انتهيتُ من الحراثة .

بطرس : هل حرثتَ الأرضَ التي وراء الجسر ؟

نيكيتا : هذه بعيدة جداً الآن على الذاهب إليها .

بطرس : بعيدة ! نعم ، من هنا ، هي أبعد ، بالفعل . يجب أن تذهب إليها الآن خصّيصاً . بما أنك كنتَ فيها . . .

(آنيسيا تصغي ولا تُظهر نفسّها) .

ماتريونا ، تتقدّم : آه ! يا بني ، لماذا لم تعدْ مخاصاً لمعلّمك ! المعلم عاجزٌ . وهو يثقُ بك ، فيجب أن تخدمه كما تخدم أباك . ابذلْ جهدك كله ، اخدمْه أحسنَ خدمة ! هذا ما قلتُ لك أن تفعله .

بطرس : طيب ! اذهبْ وأخرج البطاطا من القبو . . . والنساءُ ، اوه ! . . . سيَفْرزنها . . .

آنيسيا ، لنفسها : انتظرْ قليلا قبل أن أذهب . يُريد أيضاً أن يُرسل الناسَ جميعاً . . . ذلك لأن المال معه الآن . . . يريد أن يخبّئه .

بطرس : إذا جاء موعدُ زرعها تكون قد تعفّنت . اوه ! . . . لم أعدْ أحتمل ! . . .

(ينهض)

ماتريونا ، تصعد الدرجَ على عجل وتسند بطرس : أتريد أن أساعدك على الدخول .

بطرس : نعم ! (يقف) . نيكيتا !

نيكيتا : بخشونة : ماذا تريد أيضاً ؟

بطرس : لن أراك بعد الآن . . . سأموتُ اليوم . . . سامحْني ، بجاه الله ، سامحني إن كنتُ قد أسأتُ إليك في يوم ما ، بالقول . . . أو بالفعل . . . وقد أسأتُ بهما ! سامحْني !

نيكيتا : ليس لي أن أسامحك . نحن جميعاً خَطَأَة .

ماتريونا : آه ! يا بني ، اصغِ جيّداً إلى ما يقوله لك !

بطرس : سامحْني ، بجاه الله !

(يبكي)

نيكيتا ، بانفعال شديد: سامحكَ الله ، يا عم بطرس ! ليس لي أن أحقد عليك ، فأنتَ لم تُسيءْ إليّ . سامحْني ، أنتَ . فلعلي مُذْنبٌ بحقّك .

(يبكي . يخرج بطرس وهو ينتحب . تسنده ماتريونا) .

المشهد – ١٥ –

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! إنه لم يتكلّم لوجه الله . لا شك أن في رأسه شيئاً . (تتقدّم نحو نيكيتا) . ولمَ قلتَ إن المال تحت الأرض الخشبية ؟ لم أجدْه فيها

نيكيتا ، باكياً ، بعد استراحة : لم يُسيءْ إليّ ، على العكس ، لم يفعل معي سوى الخير . وأنا ، انظري إلى ما فعلتهُ !

آنيسيا : كفى ! أين المال ؟

نيكيتا ، مغضباً : ما أدْراني ، أنا ؟ فتّشي عنه .

آنيسيا : ماذا جرى لك حتّى صرتَ حسّاساً إلى هذا الحدّ ؟

نيكيتا : رقّ قلبي له . كيف أخذ يبكي !

آنيسيا : من حقّك أن يرقّ قلبك له ، وقد عاملك دائماً كما يُعامَلُ الكلبُ ! قبل قليل ، كان يأمرُ بطاردك من البيت . لي أنا يجب أن يرقّ قلبُكَ .

نيكيتا : ولمَ لكِ أنتِ ؟

آنيسيا : سيموتُ ومالُه مخبوءٌ .

نيكيتا : لا تخافي . فلن يُخبِّئه .

آنيسيا : اوه ! يا صغيري نيكيتا ! لقد أرسل مَنْ يُحضر أخته . هو يريد أن يسلّمها إياه . يا لمصيبتنا ! كيف سنعيش إن أعطاها المال ؟ سيطردوننا . اعمل جهدك . قاتَ البارحة إنه ذهب إلى مخزن الغلال .

نيكيتا : نعم ، رأيتُه يخرج منه ، لكنني لا أعلم أين يكون قد وضعه .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين ! هل ينبغي أن أذهب إلى المخزن لأرى !

(نيكيتا ينصرف) .

المشهد — ١٦ —

ماتريونا : تخرج من البيت الخشبي ، تنزل مطلع الدرج وتُكلّم آنيسيا بصوت منخفض : لا تَبْحثي بعد الآن ، المالُ معه ! جَسَسْتُهُ أنا . المالُ معلّق في عنقه بحبل صغيرة .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !

ماتريونا : وإذا لم تضعي يدك عليه فوراً فلن تجديه إلا على جناح النسر . ستأتي أختـُه ، وحينئذ ، السلامُ على المال !

آنيسيا : صحيح ! ستأتي وسيسلّمها إياه . . . ما العمل إذن ؟ .

ماتريونا : ما العمل ؟ انظري ، السماور أخَذَ يَغْلي . اصنعي شاياً وصبّي له ! (بصوت خفيض) . وأفرغي كلّ ما في الورقة ... ثم اسقيه إياه . . . فاذا شرب فنجاناً فتّشي ... ولا تَخْشي شيئاً . . . لن يَرْوي ذلك لأحد !

آنيسيا : أنا خائفة !

ماتريونا : لا تنطقي بالحماقات ! أسرعي . وأنا سأنتظر الأختَ إن كان لا بدّ من ذلك . وقبل كل شيء فتّحي عينيك ! وانتزعي المال واحمليه إلى هنا . سيخبّئه نيكيتا .

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! لا أدري أين أبدأ :

ماتريونا : لا تفكرّي ! افعلي ما أقوله لكِ ! نيكيتا !

نيكيتا : ماذا ؟

ماتريونا : انتظرْ هنا ، على المقعد ، تحسباً لما قد نحتاج إليه . . .

نيكيتا ، بحركة تضجّر : اوه ! من هؤلاء النساء ! انهن يخترعن دائماً أشياء جديدة ، سيُفْقدنني رشدي . آه ! دعيني وشأني ، الأفضل أن أذهب لأُخرج البطاطا من القبو .

ماتريونا : توقفه من ذراعه : قلتُ لك ، انتظرْ .

المشهد — ١٧ —

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا) .

آنيسيا : هل رأيتِها ؟

آنيوتكا : كانت في بستان ابنتها . وستأتي .

آنيسيا : ستأتي . . ماذا سَنفعل ؟

ماتريونا، الآنيسيا : معكِ وقتٌ ، افعلي ما أقوله لك .

آنيسيا : لا أعلم . . . لم أعدْ أعلمُ شيئاً . . . تشوّشتْ أفكاري ...
آنيوتكا ، يابنتي العزيزة ، اذهبي وانظري إلى العجول !
. . . لا بد أنها فلتتْ . . . أوه ! لستُ أجسر على ذلك !...

ماتريونا : اذهبي ! أراهنُ أن السماور فار .

آنيسيا ، ذاهبةً : آه ! يا لرأسي المسكين !

(تخرج)

المشهد — ١٨ —

« ماتريونا ، نيكيتا » .

ماتريونا ، تتقدّم نحو ابنها : هكذا يابني ! (تجلس قربه على المقعد) .
يجب أن نفكّر في قضيّتك وألا نتصرف بلا تـ و .

نيكيتا : وأية قضيّة هذه ؟

ماتريونا : أن نُحسن تدبير حياتك في هذه الدنيا .

نيكيتا : تدبير حياتي ! كل الناس يعيشون ، وسأعيش كما يعيش
سائرُ الناس .

ماتريونا : أظنّ العجوز سيموت اليوم .

نيكيتا : إنْ مات فليذْهبْ إلى السماء ! ماذا يهمّني من ذلك ؟

ماتريونا ، لا ترفعُ نظرها عن مطلع الدرج وهي تتكلّم : آه ! يابني ، الأحياءُ يجب أن يفكّروا في شؤون هذه الدنيا . وهم بحاجة إلى كثير من الذكاء . فبسبب أفكارك السخيفة أراني مضطرّة لأتدخّل في كل شيء ، ولأرهق نفسي وأنا أهتمّ بك . تذكّرْ ذلك جيداً ولا تَنْسه فيما بعد .

نيكيتا : وبمَ اهتممتِ ، أخبريني ؟

ماتريونا : بم اهتممتُ ؟ بمصيرك ، بمستقبلك . إن لم نفكّر في ذلك مسبقاً فلن نصلَ إلى شيء . تَعْرِفُ ايفان موسيتش ، أليس كذلك ؟ أنا على علاقة حسنة به . وقد دخلتُ عليه مؤخّراً لأمر من أموري . . . جلستُ وأخذنا نتبادل شتّى الأحاديث ، وأثناء ذلك سألتُه : « كيف يمكننا ، يا ايفان موسيتش أن ندبّر قضيّةً من هذا النوع ؟ لنفترض أن لدينا رجلاً أرملاً وأنه تزوج امرأةثانية بعد موت الأولى ، وليس له من الأولى مثلاً سوى بنت ، ومن الثانية سوى بنت . ولنفرض أنه مات ، فهل يحق لأرملته أن تُدخل إلى البيت زوجاً ثانياً ؟ » فقال لي : « نعم ، هذا ممكنٌ . لكن لا بد لذلك من البراعة . وبالمال يمكن تدبير هذه القضية ، أما بدون المال فيجب ألا تفكّري فيها » .

نيكيتا ، ضاحكا : بلا ريب ! ما عليكِ إلا أن تُعطي المال . كلُّ الناس محتاجون إلى المال .

ماتريونا : إذن ، يا عزيزي ، حدّثتُه عن كل شيء . فقال لي : « أولاً : يجب أن يُسجّل ابنُك في هذه الناحية . ولا بدّ لذلك من المال . . . ليَسْقيَ الكبار ... حينئذ يوقّعون . يجب أن تفعلي كل شيء بذكاء » . خذْ ، انظرْ (تأخذ ورقةً من شالها) . هذه هي الورقة الّتي عملها لي . اقرأْها ، أنتَ عالمٌ ، أنتَ !

« يَقرْأ نيكيتا بصوت خفيض وماتريونا تصغي) .

نيكيتا : هذه ورقة كسائر الأوراق . هي شهادة تسجيل . وهي لا تحتاج إلى كل هذا الذكاء .

ماتريونا : واسمعْ إلى ما قاله ايفان موسيتش أيضاً . « ولتحرصْ يا خالة ، ألا يفلت المالُ منها » . فاذا لم تضع يدها عليه ضاع الزوجُ منها . المالُ عصبُ كل شيء . فانتبهْ ، يابني ، لأن اللحظة المناسبة قد حانت .

نيكيتا : ماذا يهمّني من ذلك ؟ المال لها . ولتُدبّرْ أمْرها !

ماتريونا : ايه ! يابني ، كيف تفكّر ! أتحسنُ المرأة تدبيرَ أمرها ؟ حتى لو أخذت المال فهي لا تُحسن التصرّفَ به . المرأة ، معروفة ! أما أنت فرجل ، وتستطيع أن تخبّئه . وأنت أقدر على تدبير أمورك إذا ما حدث شيء .

نيكيتا : مشاريعكن ، أنتن النساءُ ، غير معقولةٍ على الإطلاق .

ماتريونا : ولمَ ، غير معقولة ؟ ضَعْ يدك على المال تملك المرأة ، فاذا خطر لها أن تجنح كانت لديك الوسيلةُ لكبحها !

نيكيتا : دعيني وشأني ، سأنصرف !

المشهد — ١٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

« تخرج آنيسيا على عجل من البيت الخشبي وهي شاحبة » .

آنيسيا ، لماتريونا : حقاً ، كان المال معه ! وها هو ذا !

(تشير إلى ما تحت مئزرها) .

ماتريونا : أعطي نيكيتا هذا المال وسيخبئه ! خذه وخبئه ، يا نيكيتا ، في مكان ما..

نيكيتا : حسناً ! هاتيه !

آنيسيا : آه ! يا رأسي ! أهذا أنا حقاً ؟ . . .

(تمضي نحو باب العربات) .

ماتريونا ، توقفها من ذراعها : إلى أين تذهبين ؟ سيُلاحَظُ غيابكِ . وستأتي أختُه . . . أعطيه إياه . . . إنه يعلم . . . اوه ! يا للمجنونة !

آنيسيا ، مترددة : أوه ! يا رأسي !

نيكيتا : هاتيه ، إن شئتِ ! سأخبئه في مكان ما .

آنيسيا : وأين ستُخبئه ؟

نيكيتا : لعلّكِ تخافين ؟

(يضحك)

المشهد — ٢٠ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا ، راجعةً مع الغسيل » .

آنيسيا : اوه ! يا لرأسي المسكين !«تسلّمه المال» . حافظْ عليه ، يا نيكيتا !

نيكيتا : ممّ تخافين ؟ سأخبّئه في مخبأ آمن بحيث لا أعثر عليه أنا نفسي .

(يخرج)

المشهد — ٢١ —

« ماتريونا ، آنيسيا ، آكولينا » .

آنيسيا : مرتعبةً اوه ! ليته . . .

ماتريونا : وهل مات ؟

آنيسيا : أعتقد أنه مات . نزعت الكيسَ من عنقه ، ولم يُحسّ بشيء . . .

ماتريونا : هيّا ، اذهبي إلى البيت الخشبي . ها هي ذي آكولينا .

آنيسيا : أنا التي ارتكبت الإثم . . . وإذا استولى على المال ؟

ماتريونا : كفى ! ادخلي البيت . ها إن « مرفا » جاءت .

آنيسيا : وَثقْتُ به ! . . . سنرى .

(ترجع إلى البيت) .

المشهد — ٢٢ —

« مارفا ، آكولينا ، ماتريونا » .

« تدخل مارفا من جهة ، وآكولينا من الأخرى » .

مارفا ، لآكولينا: كنتُ سآتي في وقت أبكر ، لكني كنت عند ابنتي . ما الخبر ؟ أيريد العجوز أن يموت ؟

آكولينا ، تضع غسيلها : لا أدري . أنا آتيةٌ من النهر .

مارفا ، مشيرة إلى ماتريونا : مَنْ هذه المرأةُ ؟

ماتريونا : أنا مِنْ زويفو ! أم نيكيتا ، من زويفو ، يا عزيزتي ! طاب يومكِ ! كم سيَتيمَ ، كم سيتيمَ أخوك ! لقد خرج هو نفسه وقال : أحضروا لي أختي لأن . . . لأن ...» اوه ! أيكون قد مات ؟ . . .

المشهد — ٢٣ —

« الأشخاصُ أنفسهم وآنيسيا التي تخرج راكضةً من البيت الخشبي . تضم أعمدة مطلع الدرج وهي تزعق » .

آنيسيا : اوه ! اوه ! ... لماذا تركتَني ... وحيدةً ... أرملةً ... تعسةً ... إلى الأبد ... إلى الأبد ... لقد أغمض عينيه ... عينيه الصافيتين . . .

المشهد — ٢٤ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة . العرّابة وماتريونا تسندان آنيسيا

من تحت ذراعيها . تدخل آكوليتا ومارفا إلى البيت الخشبي . يُهرَعُ الجيران » .

صوت : يجب دعوةُ العجائز لغسل الميت .

ماتريونا ، مشمّرةً كميّها : هل في القدر ماءٌ ! آه ! ما زال في السماور ماء . سأشرع في العمل .

ستار

الفصل الثالث

« يُمثّل المسرحُ بيتَ بطرس الخشبي أثناء الشتاء . بين الفصلين الثاني والثالث تصرّمتْ تسعة شهور . آنيسيا في ثياب البيت ، تنسج أمام نول . آنيوتكا مستلقية على الموقد . ميتريتش عامل ريفيّ عجوز » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا . آنيوتكا ، ميتريتش » .

ميتريتش ، يدخل ببطء ، ويخلع معطفه المصنوع من جلد الحمل : آه ، يا إلهي ! ألم يعد المعلمُ بعدُ ؟

آنيسيا : كيف ؟

ميتريتش : ألم يعد نيكيتا بعدُ من المدينة ؟

آنيسيا : لا .

ميتريتش : لعله يَمْجُنُ هناك . آه ! إلهي !

آنيسيا : هل انتهيتَ من درس القمح ؟

ميتريتش : طبعاً ! ورتّبتُ القشّ . لستُ أحبُ أن أفعل الأشياء إلى نصفها أوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا ! (يحك جسأتيه بيديه) . ينبغي ، مع ذلك ، أن يكون قد عاد .

آنيسيا : لا حاجة به إلى العجلة . فمعه مال . . . وهو يتسلّى مع البنت

ميتريتش : يا عذراء ! إن كان معه مالٌ، فلماذا لا يتسلّى ؟ ولماذا ذهبت آكولينا إلى المدينة ؟

آنيسيا : اسألها هي لماذا حملها الشيطان إلى المدينة ؟

ميتريتش : يا عذراء ! فمع النقود ، في المدينة ، نحصل على كل شيء . يا إلهي !

آنيوتكا : ماما ، أنا سمعته . . . بأذنيّ ، يقول لها : « سأشتري لك شالاً تختارينه أنت بنفسك » . وقد لبستْ أحسن ثيابها . ارتدت قميصها الفضفاض المخملي وشالاً فرنسياً .

آنيسيا : الحقّ مع من قال : إن حياء البنات لا يتجاوز عتبةَ الباب . فما أن تجتازه حتى تنساه اوه ! الوقحة ! . . .

ميتريتش : باه ! الحياء ؛ وما نفعُه ؟ إذا توفّر المالُ لنا تسلّينا . اوه ! إلهي ! ألم تأت ساعةُ العشاء ؟ (آنيسيا تلزمُ الصمت). سأتدفّأ ريثما يحين الوقتُ . (يتسلّق إلى المدفأة) . اوه ! يا إلهي ! يا عذراء ! يا قديس نيكولا !

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم . العرّابة » .

العرّابة ، داخلةً: ورَجلُك ؟ يبدو أنه لم يعد بعدُ ؟

آنيسيا : لا .

العرّابة : آن له أن يعود . لعله توقّف في النزل ؟ قالت لي أختي فيولكا : إن أمامه الكثيرَ من العربات ؟

آنيسيا : آنيوتكا ! أيه ! آنيوتكا !

آنيوتكا : ماذا ؟

آنيسيا : اذهبي وانظري في النزل . انظري إن كان نيكيتا قد توقّف ، لأنه سكران .

آنيوتكا ، تقفز إلى أدنى الموقد ، وتضع شالا : أنا ذاهبة إلى هناك .

العرّابة : وهل أخذ معه آكولينا ؟

آنيسيا : لولاها لما ذهب إلى المدينة . هي سبب كل هذه المشاكل . قال : عليَّ أن أتسلّم مالاً من المصرف » . هي التي تعقّد كل شيء .

العرابة ، هازّةً رأسها : بديهي .

آنيوتكا ، على العربة : إذا كان هناك ، فماذا أقول له ؟

آنيسيا : انظري فقط إن كان هناك .

(تخرج)

المشهد — ٣ —

« آنيسيا ، ميترتيش ، العرّابة . صمت طويل » .

ميترتيش : متأوّهاً ، اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف !

العرابة ، جافلةً : اوه ! كم خوّفني ! مَنْ هذا ؟

آنيسيا : هذا ميترتيش ، عاملُنا .

العرابة : اوه ! كم أرعبني ! يقال إن آكولينا تُطلَبُ للزواج ؟

آنيسيا ، تترك نَوْلَها وتجلس أمام الطاولة : نعم ، ناسٌ من ديبديوفو تقدّموا للطلب ، لكن يبدو أنهم علموا هناك أيضاً بشيء ما . تقدّموا بالطلب ثم لزموا الصمت . وماتت القضيةُ . مَنْ يَرْضَى بها ؟

العرابة : وآل ليزوتوف من زويفو ؟

آنيسيا : هؤلاء أرسلوا أيضاً . . . ولم تنجح القضيةُ . بل إنه أبى استقبالَهم .

العرابة : لا بدّ مع ذلك من تزويجها .

آنيسيا : آه ! نعم ! لا بدّ من ذلك حقاً ! عيلَ صبري ، يا اشبينتي ، لكيْ اخرجَها ، لكنْ لاحظّ لي ! لا هو ولا هي يريدان ذلك . لم يَشْبعْ بعد من حسنائه ، فهمتِ !

العرابة : اوه ! يا للخطيئة ! لا يُصَدَّق هذا ! وهو زوج خالتها مع ذلك ؟

آنيسيا : ايه ! خُدِعْتُ ، يا اشبينتي . . . وببراعة . لا جدالَ في ذلك . كنتُ غبيةً إذْ لم أرَ . . . عندما تزوجتُ ، لم أكتشفْ شيئاً ، وكانا مع ذلك متفاهمَيْن .

العرابة : يا لها من قصة !

آنيسيا : وما بدأتُ أرى بوضوح إلا فيما بعد . كانا يُخفيان مما

يفعلانه عني ! آه ! يا اشبينتي ! لو تعلمين كم تلني ذلك ! لو لم أكن أحبه !

العرّابة : هذا بديهي !

آنيسيا : اوه ! كم كان مؤلماً لي أن أرى نفسي مُهانة ً !

العرابة : ويبدو أنه بدأ يصبح سريعَ الضرب .

آنيسيا : لا تسألي ! لم يكن ، فيما مضى ، شريراً عندما يسكر . وكان يسرف في الشرب قديماً ، لكنني كنتُ أوافقه ، أما الآن فما أن يسكر حتى يهجم عليّ ليسحقني تحت قدميه . وفي آخر مرة أنشبَ يديه في شعري وقد قعنّبتُ كثيراً حتى خلصتُه منه . وأما البنتُ فهي أخبث من حيّة ! قلّما تنتج الأرضُ مثل هذه النذالة !

العرابة : إيه ! يا اشبينتي ، أنت بائسة ، أرى ذلك بوضوح . الوضعُ لا شكّ ، مؤلمٌ لك . آويتِ في بيتك صعلوكاً ، وهو يُسيء معاملتك اليوم . لمَ لا تُمسكين بزمامه ؟

آنيسيا : آه ! يا عزيزتي ، ماذا تريدين أن أفعل بقلبي ؟ كان المرحوم زوجي أقسى ، ومع ذلك كنتُ أحمله على تغيير رأيه بسهولة . أما الآن فلم أعد قادرة ً على ذلك . يكفي أن أراه ليخمد غضبي كله . لا أشعر أمامه بأية شجاعة . أنا أمامه كالدجاجة المبلولة .

العرّابة : ايه ! لقد سحروك . يُقال إن ماتريونا هي التي تُلقي أذى السحر . هي التي سحرتكِ .

آنيسيا : هذا ما خطَر لي . كثيراً ما أحقد عليه .. ويُخيَّل إليّ أني سأمزّقه . وما ان يظهر حتى تتلاشى شجاعتي !

العرابة : من الواضح أنك مسحورة . من السهل اكتشاف ذلك . فعندما أنظر إليكِ أجدُ أنك لم تعودي أنتِ نفسك .

آنيسيا : ساقاي لا تطاوعانني ، وانظري إلى هذه البهيمة آكوليا . تلك المتبذّلة الشعثاء ، انظري إلى التغيرّ الذي طرأ عليها الآن ! لقد كساها أحسنَ لباس ، فسمنتْ ، وملأتْ رأسها بالأوهام . إنها تقول : « أنا ربة البيت ، البيت لي ، وكان والدي ينوي تزويجي به » . وكم هي خبيثة ، يا ربي ! إذا غضبتْ أصبحتْ قادرة على هدْم كل شيء .

العرّابة : ما أغربَ حياتكِ ! وتصوّري أن الكثيرات يَغَرْنَ منك ! يقلن إنكم أغنياء ، لكن الذهب ، فيما أرى ، لا يمنع الدموع من أن تسيل .

آنيسيا : هناك حقاً ما يستوجب الغَيْرة ! لقد ذهبت تلك الثروة هباءً ! لا يُصدَّق إلى أي حدّ يبذر .

العرّابة : ولمَ تركته يفعل ذلك ؟ المالُ مالُكِ .

آنيسيا : آه ! ليتني تنبّأت بذلك ! لقد ارتكبتُ حماقةً كبيرة .

العرّابة : أنا ، لو كنتُ مكانك لاشتكيتُ إلى كبير القرية . المال مالُكِ . فكيف يجرؤ على إنفاقه ؟ مثل هذه الأخلاق غير جائزة .

آنيسيا : في مثل هذه الأيام ، كل شيء جائز .

العرّابة : أوه ! كم أنت متهاونة !

آنيسيا : نعم ، أنا متهاونة ، يا عزيزتي ، تماماً . دارَ رأسي ! ولم أعد أعرف شيئاً . اوه ! يا رأسي المسكين !

العرابة : هذا شخصٌ آتٍ .

(تصغي ، ينفتح الباب ، ويدخل آكيم) .

المشهد — ٤ —

« المرأتان ، آكيم » .

آكيم ، يرسم علامة الصليب أمام الأيقونة المقدسة ، ينظّف حذاءه ويخلع معطفه : السلامُ لهذا البيت ! هل أنتم بخير ؟ طاب يومُكِ ، يابنتي !

آنيسيا : طاب يومُكَ ، يا أبي ، هل جئتَ من بيتك ؟

آكيم : خَطَرَ ببالي ، نعم . . . أن أصل إلى بيت ابني . . . لم أخرج مبكّراً ... تغدّيتُ ... ثم مضيتُ . . . الطقسُ ثلجيٌّ ... والمشيُ صعبٌ فيه ... ولذلك تأخرتُ . . . وهل ابني هنا ؟

آنيسيا : لا ، هو في المدينة .

آكيم ، يجلس على مقعد : ذلك لأن عندي قضيّة صغيرة ... وقد حدّثتُه عنها مؤخّراً ... نعم قضيّةٌ صغيرة ... حدّثتُه عن ضائقتي ... فالحصان لم يعد يقوى على الوقوف ،

الحصان ... إذن يجب أن نتدبّر أمرنا ... لنحصل على جواد آخر . من أجل هذا جئتُ .

آنيسيا : نعم ، حدّثني نيكيتا عن ذلك . سيصل قريباً ، وستحدّثه عن ذلك . (تتّجه إلى الموقد) . تعال إلى العشاء ، ريثما يصل . ميترتيش ! يا ميتّريتش ! تعال إلى العشاء !

ميترتيش : اوه ! يا ربي ! يا قديس نيكولا الرؤوف !

آنيسيا : تعال إلى العشاء .

العرابة : سأنصرف . إلى اللقاء .

(تخرج)

المشهد — ٥ —

« آكيم ، آنيسيا ، ميتّرتيش » .

ميتريتش ، نازلاً من الموقد : نمتُ دون انتباه . اوه ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا ! طاب يومُك ، عم آكيم .

آكيم : ايه ! ميترتيش ! ... أنتَ إذن ؟ ... إذن أنتَ ... هكذا ...

ميتريتش : نعم ! أنا عاملٌ عند نيكيتا ، عند ابنك .

آكيم : ايه ! إذن ... أنتَ . . . هكذا ... عامل ... عند ابننا ، ايه !

ميتريتش : كنت مستخدماً ، في الآونة الأخيرة ، عند تاجرٍ في المدينة . لكني أنفقتُ كل ما جمعتُه على الشراب ، وها

أنا ذاً أعود إلى القرية . وبما أني لم أعرف أين أستقر ، اشتغلتُ أجيراً . (يتثاءب) اوه ! يا إلهي !

آكيم : هل نيكيتا ... إذن ... نعم ... هو إذن مشغولٌ جداً ؟ ... هل له أشغال خارج البيت حتى استأجر . . . عاملاً ... هكذا . . . عاملاً ؟

آنيسيا : أية أشغال تريد أن يكون له . كان وحده كافياً للعمل ، من قبل . أما الآن فان في رأسه شيئاً آخر . ولذلك أستأجر عاملاً .

ميتريتش : ما الضررُ من ذلك إن كان يملك فلوساً ؟

آكيم : هو مخطىءٌ في هذا ... في هذا هو مخطىءٌ ... هو مخطىء، إنه يترك أعماله كثيراً . . .

آنيسيا : يتركها كثيراً حتى إنني . . . يا إلهي .

آكيم : يفكّر المرءُ فيما هو أفضل . . . وينتج ما هو أسوأ ... في الغنى . . . يفْسُدُ الإنسانُ . . . في الغنى . . .

ميتريتش : حتى الكلاب المرفّهة تغدو مسعورة ، فكيف لا نَفْسُدُ نحن ؟ خُذْني أنا مثلاً لقد عربدتُ وأنا في البحبوحة ، ولم أصحُ من سكري طوال ثلاثة أسابيع . شربت حتى آخر فلوسي . فلمّا لم يَتبْقَ معي شيءٌ توقّفتُ . والآن أقسمتُ . . . لا زادَ اللهُ الخمرةَ !

آكيم : وعجوزكَ أين هي ؟

ميتريتش : العجوز ؟ إنّها في عملها ، هي في المدينة . . . تطوف الحانات ، وتتبختر بعينها المقاوعة وعينها الأخرى السوداء من الضرب ، وفمها الألْوَق . وهي لا تصحو من سكرها ، حفظَها الله ! .

آكيم : اوه ! اوه ! ما هذا ؟ . . .

ميتريتش : وأين تريد أن تعمل امرأةُ جندي ! هي في عملها ! ....

(صمت)

آكيم ، لآينسيا : هل حمل معه نيكيتا . . . كذلك . . . شيئاً إلى المدينة ؟ هل ذهب ليبيع شيئاً ؟

آنيسيا ، **واضعة** الصحون والملاعق ومقدّمة طعام العشاء : لا ، ذهب فارغاً . ذهب ليسحب مالاً من المصرف .

آكيم : اتريدون ... كذلك . . . أن تضعوا مالكم . . . في موضع آخر ؟

آنيسيا : لا ، نحن لا نامسه . لن يسحب سوى عشرين أو ثلاثين روبلاً نحتاج إليها . لا بد من الذهاب لسحبها .

آكيم : لسحبها ... ولمَ ذاك ... الذهاب لسحب المال ... نسحب منه اليوم ... ونسحب منه غداً ... وننتهي بسحبه كاه .

آنيسيا : لا ، هذا منفصل . رأس المال يظل كاملاً .

آكيم : كاملاً ؟ ... وكيف ذلك ... كيف يظلّ كاملاً . تأخذين منه ويظلّ كاملاً ؟ صبّي الطحين في المعجن أو ضَعيه في

مخزن المؤن ... وخذي منه ... هل يَظلّ كاملاً ؟ غير صحيح ، لا ! هم يخدعون الناس . . . أوضحي ذلك ، وإلاّ خدعوكم . كاملاً ! . . . تأخذين منه باستمرار وتريدين أن يظلّ كاملاً .

آنيسيا : لا أستطيع أن أشرح لك ذلك . ايفان موسيتش هو الذي نصحنا بذلك . قال لنا : « ضعوا مالكم في المصرف . سيكون المالُ في مأمن وتنالون الفوائد » .

ميتريتش ، الذي انتهى من عشائه : الحقُّ معه . كنتُ أشتغلُ عند التاجر . الأمور تجري هكذا عندهم . يضع المرءُ ماله ولا يبقى عليه إلا أن يتمدّد على الموقد . المال يأتي وحده .

آكيم : سخيفٌ ... ما تقوله ... كيف تأخذ ... أنت تأخذ وهم ... ممّن يأخذون ؟

آنيسيا : هم يعطونك مال المصرف .

ميتريتش : المرأةُ لا تعرفُ حقيقةَ الأشياء . خُذْ ، سأشرح لك ذلك كله . افهمْ جيداً . أنتَ ، مثلاً ، معاك مالٌ ، وأنا ، من جهتي ، ليس عندي ، في الربيع ، ما أبْذرُ به أو ما أدْفعُ به الضرائب . حينئذ آتي إليك وأقول لك : « آكيم ، اقرضْني عشرة روبلات ، وأنا سأعيدُها إليك عندما أنتهي من أشغالي ، وسأحصد لك قطعة من الأرض ، لقاء الخدمة التي أدّيتَها لي » . وأنت تعلم أن لديّ ما يكفل الدَيْن ، كالحصان ... أو البقرة ... فتقول لي : « أعطني

لقاء الخدمة روبلين أو ثلاثة » . فأقبل لأن الحبل في عنقي . وفي الخريف التالي أبيع محصولي وأحمل إليك المال . وتبتز مني ثلاثة روبلات . هذه منفصلة .

آكيم : لكن ... لكن ... هكذا ... الفلاحون الذين يفعلون ذلك ... لا يتصرفون تصرفاً عادلاً ... ذلك أنهم نسوا الله ... غير صحيح . . . لا .

ميتريتش : انتظرْ ، سترى . افهمْ جيداً محاكمتي ... إذن أنت فعلتَ ما قلته قبل قليل جرّدْتَني من نقودي لكن آنيسيا ، من جهة أخرى ، تملك مالاً حراً ، ولا تدْري ماذا تفعلُ به . . . إنها امرأة . . . ولا تدري كيف تضعه . حينئذ تأتي لتلقاكَ ولتقول لك : « ألا تَسْتطيعُ أن تَسْتثمرَ مالي ؟ » فتجيب : « بلى ، هذا ممكن » . وتنتظر أنت . فأعودُ في الصيف وأقول لك : « اقرضْني أيضاً عشرة ، روبلات ، وسأكون شاكراً » . عند ذاك تفحص حالتي ، فاذا لم أكن مُفلساً وإذا كان ممكناً أن تبتزّ مني شيئاً ، تُعطيني مال آنيسيا ، وإذا كنتُ ، على العكس ، لا أملك فجلةً ، ولا ما أسدُّ به الرمق ، تُغلق بابك في وجهي ، قائلاً لي : « ليكن اللهُ معك ! » وتبحث عن غيري لتُعطيه مالك ومال آنيسيا ، وهذا بدوره ستَسْلخُه . هذا هو المصرف . وهو يسير سيراً نشطاً ، كما ترى . الأمر سهل جداً .

آكيم ، محتداً : نعم ، كيف ؟ . . . كذلك . . . لكن هذا . . . عار ؟

هناك فلاحون يفعلون ذلك . . . لكن هؤلاء الفلاحين يعلمون جيداً أنهم يرتكبون إثماً ... ليس هذا بحسب القانون ... نعم . هذا عارٌ . فكيف يحقّ للناس المتعلّمين . . .

ميتريتش : هذه الصفقة بالنسبة إليهم ، يا عزيزي ، جدُّ مفرحة . افهمْ جيداً . عندما يَعْجزُ رجلٌ غبي أو امرأةٌ عن استغلال المال ، يحملانه إلى المصرف ، وهم — حفظهم الله — يضعون هذا المال في جيوبهم ويَسْلخون به الشعب . هذا سهل .

آكيم متنهداً : ايه ! أرى أننا بائسون بلا مال . . . لكننا أشدّ بؤساً مع المال . . . كيف ، اللهُ أمرنا بالعمل . . . وأنتَ تضع مالك في المصرف . . . وتنام ... المال يُطعمكَ دون أن تُشغّل أصابعَك العشر ... هذا عارٌ ... ليس هذا بحسب القانون !

ميتريتش : القانون ! لا يكترثُ أحدٌ له الآن ! إنهم يَسْلخون الناسَ حقيقةً ، هذا كل ما في الأمر !

آكيم ، متنهداً : اوه ! ما أسوأ هذا الزمن ! فقد رأيتُ أخيراً ... في المدينة مراحيض ... أيّة اختراعات ! ملمّعة متقنة الصنع كالمنزل ، ينفقون المال هدراً . . . أما الله فقد نسوه . . . نسوه ، نسوه . . . نسيناه . . . الله ! (لأنيسيا) . شكراً ، يا عزيزتي ، شبعتُ ، وأنا مسرورٌ .

(ينهض عن المائدة ، يصعد ميتريتش إلى الموقد) .

آنيسيا ، ترفع الطعام عن المائدة وتأكل : على الأقل كان أبوه يوبّخه ! وأنا أخجلُ من أن أحدّثه عنه .

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : لا شيء .

المشهد — ٦ —

« الأشخاص أنفسهم ، تدخل آنيوتكا » .

آكيم : آه ! يا صغيرتي ! أنتِ تحركين دائماً ! بَرَدْتِ ، أليس كذلك ؟

آنيوتكا : اوه ! نعم ، كثيراً ! طاب يومُك ، يا جدي .

آنيسيا : ماذا ؟ هل هو هناك ؟

آنيوتكا : لا . لكن أدريان الذي رجعَ من المدينة قال إنه رآهما في نزل ، وأن أبي كان ثملاً حتى الموت » .

آنيسيا : أتريدين أن تأكلي ، خذي !

آنيوتكا ، مقتربة من المدفأة : آه ! أيّ برد هذا ! تيبّستْ يداي .

(ينزع آكيم حذاءه ، آنيسيا تغسل الأواني) .

آنيسيا : يا أبي العزيز !

آكيم : ماذا ؟

آنيسيا : ومارينا ؟ هل تحيا حياة سعيدة ؟

آكيم : لابأس بحياتها . هي امرأة لطيفة ... وذكية ... وديعة ...

إنها تعيش ... وتبذل جهدها ... لابأس بتلك المرأة اللطيفة . . . متقنة عملها ، نشطة ثم هي كذلك ... متواضعة ... لابأس بها ، تلك المرأة اللطيفة .

آنيسيا : يُقال إن شخصاً من قريتكم ، قريبٌ لزوج مارينا ، ينوي أن يطلب آكولينا ؟ هل سمعتَ بهذا ؟

آكيم : من آل ميرونوف ! نعم . . . النساءُ تحدّثْن عن ذلك ... لكنْ ... لا أعلم ... النساءُ كنّ يتحدّثْنَ عن ذلك ... ذاكرتي ليست قوية ... على الإطلاق ... أما آل ميرونوف ... فهم فلاحون كذلك ... لابأس ...

آنيسيا : كم سأكون مسرورة في تزويجها بأسرع وقت !

آكيم : لماذا ؟

آنيوتكا ، تصيخ السمع : ها هو قد وصل .

آنيسيا : ماذا ؟

(تتابع غسل الملاعق دون أن تلتفت) .

المشهد — ٧ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا » .

نيكيتا : آنيسيا ! ايه ! يا امرأة ! مَنْ الداخلُ ؟

(آنيسيا تنظر إليه وتلوي رأسها بصمت) .

نيكيتا ، بقسوة : مَنْ الداخل ؟ هل نَسيتِ ؟

آنيسيا : كفى تبجحاً هكذا ! ادخلْ !

نيكيتا : بقسوة أكبر ، مَنْ الداخل ؟

آنيسيا ، تتقدّم وتمسكه بيده : حسناً ! هو الزوج ! هلاّ دخلتَ !

نيكيتا ، مقاوماً : آه ! فهمتِ ! الزوج ! وما اسمُه ، الزوج ؟ تكلّمي بدقّة .

آنيسيا : طيّب ! نيكيتا .

نيكيتا : آه ! ... يا جاهلة . قولي اسمَ أبي .

آنيسيا : حسناً ! آكيميتش .

نيكيتا ، على عتبة الباب : آه ! ... واسم العائلة ؟ ما هو ؟

آنيسيا ، تضحك وتشدّه من يده : تشيإيكين . اوه ! كم هو سكرانٍ !

نيكيتا : آه ! ... (يتمسّكُ باطار الباب) . وقولي لي بأية قدم يدخل تشيإيكين بيته الخشبي ؟

آنيسيا : كفى ! ستبرّد الغرفة .

نيكيتا : لا ، قولي لي بأية قدم يدخل . هذا إجباري .

آنيسيا ، بينها وبين نفسها : سوف يضايقني الآن . (بصوت عالٍ) حسناً ! باليسرى . هلاّ دخلتَ الآن .

نيكيتا : آه !

آنيسيا : انظر مَنْ ينتظرك في البيت .

نيكيتا : أبي ! وماذا في ذلك ! أنا لا أحتقر أبي بل أستطيع أن

أُبدي له احترامي ! طاب يومُك ، يا أبي العزيز ! (ينحني ويمدّ يده إلى آكيم). احتراماتي .

آكيم ، دون أن يجيب : الخمر ... هذا ما تفعله ... العار ...

نيكيتا : الخمر ؟ ... كم شربتُ ؟ قطعاً ، لقد أخطأتُ ، شربتُ مع صديقٍ لي ... على صحّته .

آنيسيا : امضِ إلى النوم .

نيكيتا : يا امرأة ، أين أنا ؟

المشهد — ٨ —

« الأشخاص أنفسهم ، آكولينا » .

آكولينا ، بثياب الأحد ، تتقدّم نحو نيكيتا ومعها سفط : لمَ رمَيْتَ كلَّ شيء إلى اليمين وإلى اليسار . أين الخيط ؟

نيكيتا : الخيط ؟ ايه ! ميتريتش ، أين أنت ؟ أنت نائم ؟ اذهبْ وفكّ الحصان .

آكيم ، ينظر إلى ابنه دون أن يرى آكولينا : ما هذا ؟ العجوز ... متعبٌ . . . لأنه درس القمح . . . أما هو فقد سكر ... ثم يرسلُه ليفكّ الحصان ... يا للعار !

ميتريتش ، ينزل عن الموقد ، ويحتذي جزمته المصنوعة من اللبد : أيها الرب الرحيم ! وأين الحصان ؟ في الفناء ؟ لا ريب أنه أنهكه . ليخنقْه الطاعون ! كم شرب ... لم يبق موضعٌ للشراب ! يا إلهي ! يا قديس نيكولا !

(يرتدي معطفه ويخرج) .

نيكيتا ، جالساً : سامحني ، يا أبي العزيز . لقد شربتُ ، هذا صحيح . وماذا في ذلك . الدجاجات يشربن كثيراً ، أليس هذا صحيحاً ؟ سامحني إذن . لن يشعر ميتريتش بالإهانة ، وسيفك الجواد .

آنيسيا : هل ينبغي حقاً تسخين السماور .

نيكيتا : نعم ، فعندي أبي هنا . سأتحدّث معه وسنتناول الشاي . (لآكولينا) . هل حملت المشتريات كلها ؟

آكولينا : المشتريات ؟ أخذتُ أغراضي . والباقي في الزلاجة . عجباً ، هذا ليس لي .

(ترمي بسفط على الطاولة وتنظّم الباقي في الصوان . تنظر إليها آنيوتكا . آكيم لا ينظر إلى ابنه . يضعُ حذاءه ولفافتيه قرب المدفأة لتنشف) .

آنيسيا ، خارجةً بالسماور : الصوان ملآن ! وما يزال يرى من الواجب أن يشتري .

المشهد — ٩ —

« آكيم ، آكولينا ، آنيوتكا ، نيكيتا » .

نيكيتا ، متظاهراً بأنه صحا من سكره : لا تغضبْ ، يا والدي العزيز . أنت تظنّ أنني سكران . في حقيقة الأمر ، إن عقلي لا يفارقني أبداً . وأنا أعرفُ المثلَ : « اشربْ لكنْ لا تفقدْ رشدك » . استطيعُ أن أحدّثك ، يا أبي ، في هذه اللحظة بالذات . . . لم أنسَ شيئا . حدثتَني عن المال ....

حصانُكَ لا يَقْوى على الوقوف ، أتذكّر ذلك جيداً .
هذا ممكن ! ... كل ذلك يتوقّف عليّ . لو كان المبلغ ضخما لرجوتك أن تنتظر ، لكن بالنسبة إلى ما تطلبه فأنا أستطيع كل شيء . . . خُذْ !

آكيم ، يتابع تصفيف لفافيته : ايه ! يا صغيري ، ليس هذا وقتُ الحديث . . . كما ترى .

نيكيتا : لمَ تقول لي هذا ؟ تَقْصد أنه لا يجوز أن تجادل سكّيراً ؟ لستُ سكران . لا تَرْتَبْ في ذلك ... سنشرب الشاي . وبالنسبة إليّ فأنا قادر على كل شيء ، في حقيقة الأمر ، قادر على تدبير كل شيء . . .

آكيم ، هازا رأسه : ايه ! إيه ! إيه ! ايه !

نيكيتا : المال ! ها هو ذا .. (يبحث في جيبه ، ويسحب من محفظة مدعوكة رزمةً من الأوراق المالية ، يختار من بينها ورقةً بعشرة روبلات) . امسكْ ! هذا للحصان . خُذْ للحصان . لستُ ممّنْ ينسون أهلهم . هذا إجباري ! أنت أبي ، ولا أستطيع أن أتركك . خذْ ! أمسك ! الأمرُ بسيط . لستُ بخيلاً ! (يتقدّم نحو أبيه وينوي أن يدسّ الورقة بيده . لا يأخذها آكيم . يمسك نيكيتا أباه من ذراعه) . قلتُ لك ، خُذْ ، فاستُ آسفُ عليها عندما أعطيكَ إياها .

آكيم : لا أستطيع ... أن آخذها ... ولا أريد ... أن أكلّمكَ . . . لأنك ... نعم ... لا تملك عقلكَ .

نيكيتا : لن أُرخيَكَ ! خُذْ !

(يدسُّ الورقة في يده) .

المشهد — ١٠ —

« الأشخاصُ أنفسهم ، آنيسيا »

آنيسيا ، تدخل وتقف : خُذْها إذن ، وإلاّ فإن يُرخيَك .

كيم ، يأخذ الورقة وهو يهزّ رأسه : اوه ! الخمر ! لا يعود الإنسانُ إنساناً . . .

نيكيتا : حسناً ! الأمور أفضلُ هكذا . إن أعَدْتَها فذلك حسن ، وإن لم تُعِدْها ، فيحفَظ الله ! كذلك أنا ! (يشاهد آكولينا) . آكولينا ، أري الهدايا .

آكولينا : ماذا ؟

نيكيتا : أري الهدايا .

آكولينا : لا داعي لذلك ، لقد لففْتها .

نيكيتا : أريهمْ إياها ، قلتُ لكِ . ستُسَرُّ آنيوتكا برؤيتها . دعي آنيوتكا تَرَها . افتحي الشال وأعطيني إياه .

آكيم : يُؤْلمني قلبي من مجرد النظر إليه .

(يصعد إلى الموقد) .

آكولينا ، تُخرج عدة أسفاط من الصندوق وتضعُها على الطاولة : ما الفائدة من مشاهدتهم لها ؟

آنيوتكا : اوه ! ما أجمله ! حلوٌ مثل شال ستيبانيدا !

آكولينا : شال ستيبانيدا ؟ لا مجال للمقارنة (تحدّ وتفحه) . انظري إلى نوعه . هذا شالٌ فرنسي .

آنيوتكا : والكريتون ؟ ما أجمله ! فستان ماشوتكا شبيهٌ به ، لكنه افتحُ وأرضيته زرقاء .

نيكيتا : آه ! . . . .

(تذهب آنيسيا ، وهي بادية الغضب ، إلى غرفة المهملات ، ثم تعود منها ومعها أنبوب سماور وغطاء طاولة ، وتتقدّم إلى الطاولة) .

آنيسيا : يا لها من بضائع معروضة !

نيكيتا : انظري إليها .

آنيسيا : ماذا أنظرُ ؟ ألم أرَ ؟ ارفعوا هذا من وجهي !

(ترمي بشال آكولينا أرضاً) .

آكولينا : لمَ ترْمينه ؟ ارمي ما يخصّك .

(تلمّ شالها) .

نيكيتا : حذار ، آنيسيا !

آنيسيا : مم ؟

نيكيتا : أتظنّين أنني نسيتُك ؟ انظري هنا . (يُريها سفطاً ويجلس عليه) . هديّةٌ لك ، لكن يجب أن تستحقّيها . يا امرأة ، أين أنا هنا ؟

آنيسيا : كفى تبجحاً -! لستُ أخافُك . بأي مال عربدت واشتريتَ الهدايا لتلك المدُحدَحة ؟ بمالي .

آكولينا : اوه ! بمالك ! أردت أن تسرقيه لكنك لم تدري اطلعي من هذا الباب !

(تدفعها بقوة لتمرّ) .

آنيسيا : لم تدفعينني ؟ أنا التي ستَدْفعك .

آكولينا : تدفعينني ، أنا ! تعالي لحظة !

(تمشي لملاقاتها) .

نيكيتا : ايه ! اسكتا ! كفى !

(يقف بينهما) .

آكولينا : يا للوقاحة ! أفضلُ لك أن تسكتي ، إن كنت تعتقدين أننا لا نعرف شيئاً !

آنيسيا : قولي ، ماذا تعرفين ؟

آكولينا : أعرف شيئاً يخصّك .

آنيسيا : أنت عاهرة ! تعاشرين رجلاً متزوّجاً !

آكولينا : وأنت التي موّتتْ زوجها !

آنيسيا : تهجم على أكولينا : أنت تكذبين !

نيكيتا : يحجزها : آنيسيا ، هل نسيت ؟

آنيسيا : لا آبهُ لتهديداتك . ولستُ أخافُكَ .

نيكيتا : اخرجي !

(يدفع آنيسيا بكتفيها إلى الخارج) .

آنيسيا : أين تريد أن أذهب ؟ أنا في بيتي هنا .

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي . وإياكِ أن تعودي !

آنيسيا : لن أخرج ! (نيكيتا يدفعها . آنيسيا تبكي وتصرخ وهي تتشبّث بالباب) . كيف ! أُطْرَدُ من بيتي ! ماذا تَفْعل، يا مجرم ؟ آه ! أتظنُّ أنك قادرٌ على فعل ما تشاء دون عقاب !

نيكيتا : هيا ! هيّا !

آنيسيا : سأذهب إلى كبير القرية ، وإلى الدركي !

نيكيتا : قلتُ لكِ : اخرجي !

(يُخرجها)

آنيسيا ، وراء الباب : سأَخنقُ نفسي !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيوتكا ، آكيم » .

نيكيتا : كفى !

آنيوتكا ، باكية : اوه ! يا أمي العزيزة !

نيكيتا : تظنّ أنها تخوّفني ! لماذا تبكين ! لا تخشيْ شيئاً ، ستعود . اذهبي وانظري إلى السماور هل غلا .

(تخرج آنيوتكا) .

المشهد — ١٢ —

« نيكيتا ، آكيم ، آكولينا » .

آكولينا ، تلمّ الأشياء المبعثرة على الطاولة وتَطْويها : اوه ! النذلة ! تريد أن تخلق المشاكل ! انتظري . سأمزّق لك قميصك . سأمزّقه ، بلا ريب !

نيكيتا : لقد طُردتْ ، فماذا تريدين أكثر من ذلك ؟

آكولينا : لطّخت شالي الجديد ! الكلبة ! الحمقاء ، لو لم تخرج لاقتلعتُ عينيها !

نيكيتا : لا تغضبي ! لماذا تغضبين ؟ . . . فبما أنني لا أحبّها !

آكولينا : تُحبّها ! أيمكن أن يُحَبّ إنسانٌ مشاكسٌ مثلها ؟ لو كنتَ تخلّيتَ عنها مرة واحدة لما وقع هذا كله . اطردْها بعيداً ! على كل حال ، البيتُ بيتي والمال مالي . يا لها من عشيقة ! عشيقة ، هي ، قاتلة ! هكذا هي ، وستفعل معك مثلما فعلتْ معه !

نيكيتا : لا سبيل إلى سدّ أفواه النساء ! أنت تهذرين دون أن تعلمي ماذا تقولين .

آكولينا : بلى ، أعلم ما أقول . لا أريد أن أعيشَ معها ، وسأطردها ! لا ينبغي أن تظلّ معي ! هي ، العشيقة ! بل إنها ليست عشيقة ، وإنما هي بغيّةُ المحكومين بالأشغال الشاقة !

نيكيتا : كفى ! ليس لك شيء تقتسمينه معها . انظري إليّ .

أنا السيد ! وأنا أفعل ما أريد . لم أعدْ أحبّها ، وأنتِ التي أحبّها الآن ، أحبُ مَنْ أشاءُ . هذه هي إرادتي . أما هي فالى الحَجْز . . . (يرفع قدمه دليلاً على الاحتقار) . آه ! من المؤسف أن الآكورديون . ليس عندنا :

(يغني)

في الفرن فطائرُ حلوى
وعلى الدَرَج برغل
ونحن ، نحن نعيش
ونمرح .
وعندما يأتي الموت
سنموت .
في الفرن فطائر حلوى
وعلى الدرج برغل .

المشهد — ١٣ —

« نيكيتا ، آكيم ، ميتريتش » .

« يدخل ميتريتش وينزع حذاءه ومعطفه ويصعد إلى الموقد » .

ميتريتش : يبدو أن المرأتين تشاجرتا أيضاً . لا بد أن تتشاجرا أبداً . يا إلهي ! يانيكولا الرؤوف !

آكيم ، على حافة الموقد ، يأخذ لفافتيه ويلفّهما ويحتذي حذاءه : مرّ إلى الداخل ، مُرّ !

ميتريتش ، ماراً : لن تتوصّلا إلى اتفاق على القسمة . يا إلهي !

نيكيتا ، لآكولينا : هاتي الشراب ، سنشرب منه مع الشاي .

المشهد — ١٤ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيوتكا » .

آنيوتكا ، داخلةً ، لآكولينا : ايه ! سيغلي السماور .

نيكيتا : وأمُّكِ ؟ أين هي ؟

آنيوتكا : هي في البهو . تبكي .

نيكيتا : آه ! . . . آه ! . . . ناديها ، قولي لها أن تأتي بالسماور . وأنتِ يا آكولينا ، هاتي الفناجين .

آكولينا : الفناجين ؟ طيّب .

(تحضّر الفناجين) .

نيكيتا ، يأخذ الشراب والبسكويت وسمك الرّنكة : هذا لي وهذه الخيوط لامرأتي ، وزيت الكاز في البهو ، والمالُ ، هذا هو . انتظرْ ! (يأخذ الآلة الحاسبة) . يجب أن نتحقق من الحساب : طحين القمح الأبيض . . . ثمانون كوبيكاً ، زيت القنب . . . بيد أبي ، عشرة روبلات ! ... تعال ، يا أبي ، لتناول الشاي !

(صَمْتٌ ، آكيم بجانب الموقد يربط لفافتيه)

المشهد — ١٥ —

« الأشخاص أنفسهم ، آنيسيا ».

آنيسيا ، حاملةً السماور : أين يجب ان أضعه ؟

نيكيتا : ضعيه على الطاولة . ماذا ؟ هل ذهبْتِ لتقابلي كبير القرية ؟ لأننا . . . يجب أن نفكّر قبل أن نتكلّم . كفى خصاماً . اجلسي واشربي (يصبّ لها كأساً صغيرة) . وهذه هي هديّتك .

(يُعطيها السفط الذي كان جالساً عليه . آنيسيا تهزّ رأسها وتأخذه دون أن تقول شيئاً) .

آكيم ، ينزل من الموقد ويضع معطفه ، ويتقدّم نحو الطاولة ويضع عليها ورقة الروبلات العشرة : هذه نقودُكَ ، فخذْها !

نيكيتا ، دون أن يرى الورقة : أراك لبستَ ؟ أين تذهب ؟

آكيم : سأنصرف ، أنا ... كما ترى ... ليحفظْك اللهُ !

(يأخذ قبّعته وزناره) .

نيكيتا : هذا شيء جديد ! لماذا ترجع هكذا ، في الليل ؟

آكيم : لا أستطيع ... أن أبقى ... في بيتك ، لا أستطيع ، كما ترى ... أن أبقى ... وداعاً !

نيكيتا : كيف تذهبُ والشايُ على الطاولة ؟

آكيم ، يلفّ زنّاره حول جسمه : سأرجع ... لأن ... الأمور

ليست حسنة ... في بيتك ، ليست حسنة ، نيكيتا ! أنت ، حالتُكَ سيئة ، سيئة ! سأنصرف !

نيكيتا : كفى مشاكل ! اجلسْ ، وتناول الشاي .

آنيسيا : مالكَ ، أيها الأب ؟ سنخجل أمام الناس . مَنْ الذي أساءَ إليك ؟

آكيم : لم يسيءْ إليّ أحدٌ ، لا أحد ! لكنني أرى ... أن ابني يجري إلى هلاكه ... يجري إلى هلاكه . . .

نيكيتا : أي هلاك ؟ هات براهينك !

آكيم : هلاكك ، هلاكك ! أنتَ على طريق هلاكك ! ماذا قلتُ لكَ في الصيف الماضي ؟

نيكيتا : حدثتني عن أشياء كثيرة .

نيكيتا : حدّثْتُكَ عن اليتيمة التي أسأتَ إليها . . . اليتيمة مارينا ... التي أسأتَ إليها . . .

نيكيتا : اوه ! ما زال يتذكّر ! لقد ذهبتْ هذه القضيةُ مع الثلوج القديمة ! قضية منتهية !

آكيم ، محتداً : منتهية ! لا ، يا صديقي ، هي لم تَنْتهِ ... الخطيئة تستدعي أختَها ، وأنت متورّطٌ ، يانيكيتا ، في الخطيئة ! متورّطٌ في الخطيئة ! أنت متورّطٌ ، غارقٌ . . .

نيكيتا : هيا ! تناول الشاي . . . هذه هي القصة كلها .

آكيم : لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي . . . لأن حسّتك ... توجع قلبي . لا أستطيع . . . أن أتناول الشاي معك !

نيكيتا : آه ! ما هذه الثرثرة المكرورة ! هيا اجلسْ إلى الطاولة !

آكيم : أنت عالقٌ في خيوط عنائك كالعالق في خيوط الشباك ، كالعالق في خيوط الشباك ! يجب أن يكون لك ضمير !

نيكيتا : من أين لك هذه السلطة المطلقة لتأتي إلى بيتي وتُنحي علي باللائمة ؟ لماذا تزعج نفسك ؟ أأنا صبي حتى تتعهدّ لي أذنيّ ؟ لم يعد أحدٌ يستعمل هذه الطرق .

آكيم : صحيح . . . سمعتُ هذا أيضاً . . . أن الناس يَسْحبون الآباء من لحاهم . . . لكن هذا هو هَلاكُ النفس . . . هو الهلاك .

نيكيتا ، مغضباً : نحن نعيش مُسْتَغنينَ عنك . أنت جئتَ تطْلبُ معونتنا .

آكيم : مالك ؟ هذا هو مالك . . . سأتسوّل . . . أتري . . . لكني لن آخذه !

نيكيتا : كفى أرجوك ، لمَ تغضبُ ؟ (يمسكه بيده) أنت تكدّر اجتماعنا .

آكيم ، مرسلاً صرخة الغضب : آه ! ... دعْني ! ... لن أبقى ، أفضّل أن أنام على الطريق . . . على أن أنام وسط قذارتك ! أوه ! سامَحَني الله !

(يخرج)

المشهد — ١٦ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميترتيش » .

نيكيتا : حسناً ! كفى !

المشهد — ١٧ —

« **الأشخاص أنفسهم وآكيم** » .

آكيم ، فاتحاً الباب : أفِقْ ، يا نيكيتا ! وفي نفسلكَ إنما يجبُ أن تفكّر .

(يخرج)

المشهد — ١٨ —

« نيكيتا ، آكولينا ، آنيسيا ، ميتريتش » .

آكولينا ، ممسكة بالفناجين : وهل ينبغي أن أصبّ الشاي !

ميتريتش ، يصرخ من على الموقد : آه ! يا ربي ، ارحمني ، أنا الخاطىء !

(الجميع يجفلون مرعوبين) .

نيكيتا ، متهالكاً على المقعد : اوه ! ضجرتُ ، ضجرتُ ! آكولينا ، أين الآكورديون ؟

آكولينا : الآكورديون ؟ الآن تذكرتَه ؟ أعطيْتَهُ للتصليح . سكبتُ لك ، اشربْ .

نيكيتا : لا أريدُ شيئاً ! أطفئوا الأنوار ! اوه ! ما أشدّ ضجري ! آوه ! ما أشد ضجري !

(يبكي)

ستار

الفصل الرابع

إحدى أمسيات الخريف . ضوء القمر . داخل الفناء . في الوسط بهوٌ . إلى اليمين بيتُ الشتاء الخشبي وباب العربات . وإلى اليسار بيت الصيف الخشبي وقبو . تُسْمَعُ أصواتٌ مخمورةٌ تخرج من البيت الخشبي . تخرج الجارةُ من البهو مع عرّابة آنيسيا .

المشهد — ١ —

« العرّابة ، الجارة »

الجارة : ولمَ لم تخرجْ آكولينا ؟

العرّابة : لمَ ؟ هي لا تريد ، وتحتجّ بأنْ لا فراغ لديها . جاء أهلُ الخطيب ليتعرّفوا إليها ، لكنها ظلّتْ مستلقية في البيت الخشبي ولم تطلّ بوجهها ، يا عزيزتي .

الجارة : ولمَ ذاك ؟

العرابة : لعلها قد أُصيبتْ بأذى السحر . فهي تحس بالمَغْص في بطنها .

الجارة : أممكنٌ هذا ؟

العرابة : لكن . .

(تهمس إليها بشيء في أذنها) .

الجارة : اوه ! يا لها من خطيئة ! وهل علمَ بذلك أهلُ الخطيب ؟

العرابة : وكيف يعلمون ؟ كلهم سكارى . ثم إن ما يبحثون عنه خاصة هو المهر ؛ ليس بالشيء القليل ما سيُعطونه لهذه البنت ، يا أمي : معطفان من الفرو ، ستة فساتين ، شال فرنسي ، وكمية من قطع القماش والفضة ، وورقتان من ذوات المئة ، على ما يقال . . .

الجارة : في مثل هذه الظروف ، ليس في تسلّم المال كبيرُ لذّة . يا للعار ! صه ! هذا أبو الخطيب !

(تسكتان وتدخلان البهو) .

المشهد — ٢ —

« أبو الخطيب . يخرج من البهو وبه حازوقة » .

الأب ، وحده : احترقتُ ! ما هذا الحرُّ ! يجب أن أتبرّدَ قليلا ! (يتنفّس بقوة) . الله أدري بما هو كائن ! لكن هناك شيئاً لم يرقْ لي . سنرى ماستقوله العجوز .

المشهد — ٣ —

« الأب ، ماتريونا »

ماتريونا ، خارجة من البهو : آه ! وأنا التي كانت تبحث عنك في كل مكان ! ها أنت ذا ، يا عزيزي . وبعدُ ! كلُّ شيء على ما يُرام ، بحمد الله . عندما يكون القصدُ تزويجَ أحد الأولاد فلا مجال للمباهاة ، ثم إن هذا ليس من طبعي . لكن

بما أنك جئتَ بنيّاتٍ حسنة ، فاني آمل ، بعون الله ، أن تعترفوا لنا بالجميل الأبدي ، لأن الخطيبة بنتٌ نادرة . تستطيع أن تبحث في الناحية كلها فلا تجد أختاً لها .

الأب : نعم ، بالتأكيد ، لكن يجب مع ذلك التحفّظ بصدد المال .

ماتريونا : بصدد المال ، اطمئنّ . كل ما انتقل إليها من أبويها سيذهب معها . وفي مثل هذه الأيام ، ليس بالشيء القليل ثلاث ورقات من ذوات الخمسين .

الأب : لسنا نقول العكس . الولد هو الولد . رتّبي هذا أحسن ترتيب .

ماتريونا : أنا ، يا عزيزي ، أقول لك الحقيقة الخالصة . بدوني ، ما كنتَ لتعثر على مثل هذه الفتاة . وقد طلبها آل كورميايين للزواج ، لكني عارضتُ ذلك . وبالنسبة إلى المال قلتُ لكَ الحقيقة . فالمرحوم (تقبّله اللهُ في ملكوته السماوي) كان يموت وأمَرَ الأرملةَ أن تتزوّج نيكيتا . وأنا أعرفُ كلَّ شيء ، عن طريق ابني . وأمرَ بتسليم المال إلى آكولينا . ولو كان غير نيكيتا لاستغلّ ذلك ، لكن نيكيتا ردّ لها كل شيء . وياله من مبلغٍ !

الأب : الناس يزعمون أنه ترك لها أكثر من ذلك . ابنك نيكيتا ، شابٌ بارع .

ماتريون : ايه ! يا حمامتي البيضاء ، قطعة الخبز في يد الجار تبدو دائماً أكبر . ستُعْطَى ما هو موجود . فاتركْ حساباتك وأنهِ القضية . يا لها من بنت جميلة كالصورة

الأب : لا أقولُ : لا ، لكننا تساءَلنا ، أنا والعجوز ، لمَ لم تخرج . وإن كان بها عاهة ؟

ماتريونا : هي ؟ لكنك لن تجد مثلها في الناحية كلها . وهي صلبة ، قاسية كالحديد ! وأنتَ تعرفُها ، مالَكَ ؟ أمّا من جهة العمل فاطمئن . هي صماء قليلا ، لا أنكر ، لكن في أحسن التفاح دودةً . وإذا كنتَ تريد أن تعلم لمَ لم تخرج مذلك لأنّ بها أذى السحر ، نعم . وأنا أعرف اليد التي فعلت ذلك ، والتي أحسّتْ بالخطبة فألْقتْ أذى السحر . لكنني شاطرة ، وأنا أعرف الكلمة التي تُبطلُ السحر . وستقوم غداً . فلا تخشَ شيئاً بالنسبة إليها .

الأب : حسناً ! اتفقْنا إذن .

ماتريونا : لكن لا تتراجعْ عن كلامك ، ولا تَنْسَني .

صوت امرأة ، في البهو : حان وقت العودة ، ايفان .

الأب : أنا ذاهب .

(يخرجان)

المشهد — ٤ —

« آنيسيا ، آنيوتكا »

آنيوتكا ، خارجةً من البهو ومناديةً آنيسيا باصبعها : يا أمي !

آنيسيا : مالَكِ ؟

آنيوتكا : اقتربي مني ، يا أمي ، لكي لا يَسْمعنا أحدٌ .

(تتّجه إلى مخزن الغلال) .

آنيسيا : ماذا ؟ أين آكولينا ؟

آنيوتكا : هي في مخزن الغلال . ليتكِ ترينها ، شيءٌ رهيب . وهي تقول : « ليتني أموت ، لم تَبْقَ فيّ قوةٌ ! سآخذ في الصراخ بكل قواي ، ليتني أموت ! »

آنيسيا : ستصبر . يجب أولاً أن نَصْرف ضيوفنا .

آنيوتكا : اوه ! كم تتألّم ، يا ماما ! ثم إنها غاضبة ! وهي تقول : « هم يُضيعون وقتهم إذا شاؤوا أن يبيعوني ، لأنني لا أريد أن أتزوج . سأموت ! » اوه ، ماما ، بشرط ألا تموت ! أنا خائفةٌ جداً من ذلك .

آنيسيا : لا تخافي شيئاً ، فلن تموت ! لا تذهبي لرؤيتها . انصرفي !

(تخرج آنيسيا وآنيوتكا) .

المشهد — ٥ —

ميتريتش ، وحده ، يدخل من باب العربات ويأخذ في لمّ القش المتناثر على الأرض : اوه ! إلهي ! يا قديس نيكولا الرؤوف ! كم شربوا من ماء الحياة ! وأية رائحة تفوح منهم ! الرائحة تصل إلى هنا . . . كلا . . . لن أعود إلى شرب ماء الحياة ! لن أعود ! وانظروا إلى هذا القش الذي بعثروه ! القليل هنا ، والقليل هناك ، هذا يعمل حزمةً في نهاية الأمر . أية رائحة هذه ! كأنّ تحت أنفي كأساً

من ماء الحياة ! آه ! لاردّ الله منه الحيلة ! (يتثاءب) . حان وقتُ النوم . لا أشتهي الدخول إلى المنزل . الرائحة تعبقُ في أنفي معطّرةً ، العاهرةُ ! (يسمع هديرٌ العربة التي تبتعد (ها هم قد سافروا ! اوه ! إلهي ! نيكولا الرؤوف ! كلهم يحاولون أن يخدع بعضُهم بعضاً ! حماقاتٌ ، كل هذا !

المشهد — ٦ —

« ميترتيش نيكيتا » .

نيكيتا ، داخلاً : ميتريتش ، اذهبْ ونَمْ ، سأَلُمُّ القشَّ .

ميتريتش : طيّب ! أطْعم النعاجَ منه . سافَروا ، أليس كذلك ؟

نيكيتا : نعم ، لكن الأمور ليست حسنة ، ولا أدري ماذا أفعل .

ميتريتش : يا لها من قضيّة ! ما أهمية ذلك ؟ هناك بيوت اللقطاء . وهي تُؤوي اللقطاء مهما يكنْ عددهم ، خُذْ إليها ماتشاء منهم ، فلن يطلب القائمون عليها منكَ حساباً ؛ بل ! إنهم يدفعون للأم أجرتها إذا شاءت أن تعمل مرضعاً . آه ! الأمرُ بسيطٌ جداً اليوم !

نيكيتا : ميترتيش ، أرجوك ألاّ تثرثر كثيراً إذا ما حدث شيءٌ .

ميتريتش : ماذا يهمّني من ذلك ؟ أخْفِ جميع الآثار كما يَحْلو لكَ . اوه ! رائحةُ ماء الحياة تفوح منك ! سأذهب إلى النوم . (يمضي متثائباً) . اوه ! يا ربي !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، يصمت طويلا . يجلس على زحافة : يا لها من ورطة !

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، داخلة : نيكيتا ، أين أنتَ ؟

نيكيتا : هنا .

آنيسيا : ماذا تفعل وأنت جالس ؟ ليس لدينا وقت نضيعه . يجب أن تحماه على الفور .

نيكيتا : وماذا سنفعل إذن ؟

آنيسيا : كما قلتُ لكَ . اعمل ما آمركَ به !

نيكيتا : الأفضل أن نضعه في بيوت القطاء .

آنيسيا : حسناً ! احملْه إذا شئت . أنت قويٌّ على ارتكاب القذارات ، لكننا لا نجدك عندما يُراد إصلاحُها .

نيكيتا : وماذا يجب أن نفعل ؟

آنيسيا : كما قلتُ لك . اذهب إلى القبو . واحفرْ حفرة !

نيكيتا : أليس من سبيل إلى تدبير الأمور بشكل آخر ؟

نيسيا ، تقلّده : بشكل آخر ! يبدو أنه لا سبيل إلى شكل آخر . كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن . اذهبْ إلى حيث أرسلكَ .

نيكيتا : آه ! يا لها من ورطة ! يا لها من ورطة !

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، آنيوتكا » .

آنيوتكا : ماما ! أختي تناديكِ . يبدو أنها جاءت بوليد . عسى أن أموت ! سمعتُه يصرخ .

آنيسيا : ماذا تختلقين ؟ حَطّمَ الشالُ عظامَكِ ! هذه قطط صغيرةٌ تموءُ . ادخلي ونامي . وإلا عوقبْتِ .

آنيوتكا : ماما ، يا عزيزتي ، ما أقوله صحيح ،أقسم لكِ .

آنيسيا : رافعةً يدها : سوف أ . . . يجب ألا أراك هنا بعد الآن !

(آنيوتكا تهرب) .

آنيسيا : لنيكيتا : افعلْ ما قلتُه لك ، وإلا فحذارِ !

(تخرج)

المشهد — ١٠ —

(نيكيتا ، وحده ؛ يصمت طويلاً) .

نيكيتا : اوه ! يا لها من ورطة ! ويالهؤلاء النساء ! ويالل‍مصيبة ! هي تقول : « كان يجب أن تفكّر في ذلك قبل الآن » . أكان عندي وقتٌ للتفكير ؟ في الصيف الماضي ، أخذتْ آنيسيا تدور حولي . وأنا لستُ راهباً ! وعندما مات المعلم كفّرتُ عن خطيئتي ، كما كان ينبغي عليّ أن أفعل . ولم يكن لي يدٌ في الأمر . ألا يقعُ هذا كل يوم ؟ ... ثم هناك قصةُ المساحيق . . . أأنا الذي دفعها إلى أن

تتصرّف كما تصرّفتْ ؟ لو كنتُ أعلم ذلك لقتلْتُها ، الكلبة ! لقتلتُها ، بالتأكيد ! جعلتْني شريكاً في كل قذاراتها ، الوسخةُ ! كم اشمأزّتْ منها نفسي منذ ذلك الوقت . . وعندما حدثتْني أمي عن ذلك قرفْتُ منها إلى حدّ لم أعد أستطيع معه رؤيتها . كيف يمكن أن أعيش معها ؟ حينئذٍ بدأت مشاكلُنا . ثم أخذت البنتُ تُلاحقني . ماذا يهمّني من ذلك ؟ لو لم أكن أنا لكان غيري . وهذه هي النتيجة . وليست الغلطة أيضاً غلطتي . اوه ! من هذه الورطة ! (يظل متفكّراً ، بعض الوقت) . وكم هنّ جريئاتٌ ، اولئك النساء ! ما الذي لم يتصوّرْنَهُ ؟ لكنني لن أرتضي ذلك !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا وماتريونا » .

« ماتريونا تخرج على عجل ومعها مصباح وبيدها رفشٌ » .

ماتريونا : ها أنت مثل دجاجة على بيضها ! ماذا قالت لك زوجتُك ؟ دبّرْ قضيتَك !

نيكيتا : ماذا ستفعلان ؟

ماتريونا : هذا يخصّنا . . . افعل ما يخصّك .

نيكيتا : آه ! برّمْتُما لي رأسي !

ماتريونا : أتنوي أن تتراجع ؟ ما ان يُطلَبُ منك العملُ حتى تتراجع !

نيكيتا : يا لها من ورطة ! هذا كائن بشري .

ماتريونا : كالمخ بمجري حاو ! لا يكاد يتنفّس . ثم ماذا تريد أن نفعل به ؟ حاول أن تحمله إلى بيت اللقطاء ، فسيموت مع ذلك ، وسيحدث الناس عما جرى ، وسيتنادرون بالحادثة في أرجاء القرية ، ثم ستظلّ البنتُ على صدورنا .

نيكيتا : وكيف نستطيع أن نفعل ذلك ؟

ماتريونا : ألا نستطيع تدبير مثل هذه القضية في منزلنا ؟ سنعمل بحيث لا يبقى أيٌّ أثر ! افعلْ فقط ما أقوله لك ، لأننا ، نحن النساء ، لا نستطيع أن نفعل ذلك وحدنا . خذ الرفشَ الصغير وانزلْ واشتغلْ . سأضيءُ لك .

نيكيتا : فيمَ أشتغل ؟

ماتريونا ، بصوت خافت : احفرْ حفرةً صغيرة . ثم نَحمله إليك وسنرتّبُ كل شيء ، هناك . ها هم ينادونني ! هيّا ، اذهبْ ، يجب أن أسرع إليهم .

نيكيتا : لكن . . هل مات ؟

ماتريونا : بالتأكيد . لكن يجب أن تسرع . لم ينم الناسُ كلهم بعد . قد يرون وقد يسمعون . . . هؤلاء الأوغاد يريدون أن يعرفوا كل شيء . لقد مرّ الدركيُّ هذا المساء . خذْ إذن (تناوله الرفشَ) . انزل إلى القبو . . . وهناك ، في الزاوية ، احفر حفرة صغيرة . . . الأرض طريّةٌ هناك . . . وبعد ذلك ، سوِّ الأرض جيّداً . لن تتحدّث الأرضُ ... . امضِ ، ياعزيزي ، امضِ !

نيكيتا : برمتُمما لي رأسي ! آه ! دعيني ، سأتصرف ! افعلا وحدكما ما تشاءان .

المشهد — ١٢ —

« ماتريونا ، نيكيتا ، آنيسيا » .

آنيسيا : شاقةً الباب ، ماذا ؟ هل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : لماذا انصرفتِ ؟ أين دسستِهِ ؟

آنيسيا : غطيّتُه بغطاء سميك . لن يسمعه أحد . وهل حفر الحفرةَ ؟

ماتريونا : هو لا يريد .

آنيسيا ، واثبةً ، ثائرة : لا يريد ؟ يريد ، من دون شك ، أن تأكله حشراتُ السجن ؟ سأروي كل شيء للترّكي . لا أبالي إن انتهيتُ من مرة ؛ سأحكي كل شيء !

نيكيتا ، منذهلاً : ماذا ستحكين ؟

آنيسيا : ماذا ؟ كل شيء ! مَنْ أخذ المال ؟ أنتَ . (نيكيتا يلزم الصمتَ) والسم ، من دسّه ؟ أنا ، لكنك كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ، كنتَ تعلم ذلك ! كنتَ شريكي .

ماتريونا : كفى ! لا تتشاكس ، نيكيتا . ماذا بقي علينا أن نفعله ؟ أن تبذل شيئاً من الجهد . امضِ ، يا عزيزي !

آنيسيا : يا لله من رجل رقيق ! لا يريدُ ! كفاني ما لقيتُه من سوء

معاملتك ! كنتَ السيّدَ زمناً طويلاً ، والآن جاء دوري ! امضِ ، قلتُ لكَ . . . وإلاّ . . . خُذْ ، دونَكَ الرفشَ ! امضِ !

نيكيتا : لا داعي لهذا الصراخ (يتناول الرفش دون أن يتحرك) . إنْ لم أشأْ فلن أذهب !

آنيسيا : لن تذهب ! (تبدأ بالصراخ) . النجدةَ ! ايه !

ماتريونا ، تسدّ فمها : مهلاً ! أأنتِ مجنونةٌ ؟ سيذهب اذهبْ يابني ، اذهبْ ، يا عزيزي !

آنيسيا : إن لم يذهب صرختُ مستنجدةً !

نيكيتا : كفى ! آه ! يا لهؤلاء الناس ! هيا ، أسرعا ! يجب أن ننتهيَ من ذلك بأسرع وقت .

(يذهب إلى القبو) .

ماتريونا : هذا هو الصحيح ، يا عزيزي ، أنت تسلّيت ، وعليك أن تمحو الآثار .

آنيسيا ، منفعلةً : طالما ازدراني هو وعاهرته ! وهكذا ، لن أكون وحدي ، هو سيكون قاتلاً أيضاً ! سيعلم ما ذلك !

ماتريونا : مهلاً ، مهلاً ! ها هي ذي تثور ! لا تغضبي ، يابنتي ، رويدَكِ ، رويدَك ! لنَعْملْ جهدنا . ابحثي عن آكولينا . أما هو فسيشرع في العمل .

(يهبط نيكيتا إلى القبو . تتبعه بمصباحها حتّى مدخل القبو) .

آنيسيا : وسأعمل على خنق شخصه الكريه ! (منفعلة) . تعبتُ من تحريك عظام بطرس في قبره ! ليعلَمْ أيضاً ماذا يَعْني ذلك ! لن أراعي نفسي ، اؤكّد لك أني لن أراعي نفسي !

نيكيتا : في القبو اضيئي لي .

آنيسيا : ابقي معه . وإلاّ فقد ينصرفُ، الجبانُ . وأنا سآتي به .

ماتريونا : لا تنسَيْ أن تعمّديه ! وإلا عمّدته أنا . أمعك صليب ؟

آنيسيا : سأعثرُ على صليب . وأعرف كيف يتمُّ ذلك .

(تنصرف)

المشهد – ١٣ –

« ماتريونا وحدها ، ونيكيتا في القبو » .

ماتريونا : اوه ! كيف استشاطتْ غضباً ! صحيح أن في الأمر ما يُغضبُ ، لكننا سنُنْهي هذه القضية ونُزيل آثارها ، بفضل الله . وسيكون سهلاً بعد ذلك أن نتخلّص من البنت . وسيستطيع ابني أن يعيش قرير العين . والبيتُ ، بحمد الله ، حسنُ التجهيز ، ولن ينسوني . ماذا كان بوسعهم أن يفعلوا بدون ماتريونا ! ما كانوا ليحسنوا التخلص من المأزق ! (تنحني نحو القبو) . هل الحفرةُ جاهزة ، يابني ؟

نيكيتا « مخرجاً رأسه من القبو : وماذا تفعلين ؟ هاتيه ! مالكِ تتراخين ؟ إذا بدأْنا شيئاً فيجب أن نُنهيه .

المشهد — ١٤ —

« نيكيتا ، آنيسيا ، ماتريونا تتجه نحو القبو لملاقاة آنيسيا التي تخرج ومعها المولود ملفوفاً باللفافات » .

ماتريونا : هل عمّدته ؟

آنيسيا : طبعاً . تعبتُ في انتزاعه منها . لم تكن تريد أن تُرخيه .

(تمدّ الوليد إلى نيكيتا) .

نيكيتا ، يرفض أخذه : أنزليه بنفسك .

آنيسيا : خذْ ! قلتُ لك : أمسكْ .

(ترمي عليه الوليد) .

نيكيتا ، آخذاً الوليد ، إنه حي ! يا أمي العزيزة ، إنه يتحرّك ! إنه يحيا ! ماذا أفعل به ؟

آنيسيا ، تنتزع الوليد وترميه في القبو : اخنقْهُ بسرعة ، فإن يعيش ! (تدفع نيكيتا إلى القبو) . هذا عملُك ، فأنْهِهِ !

ماتريونا ، تجلس على أول درجة : قلبُه رقيق ! يصعبُ ذلك عليه ، المسكين ! لا بد من ذلك ، وهذه غلطتُه ، أيضاً !

(آنيسيا تظل واقفة وتنظر إلى القبو . تظل ماتريونا جالسة على الدرج ، تلقي بين الحين والحين بنظراتها عليها وتفكّر) . . .

آه ! كم هو خائف ! يا عذراء ! مع أن ذلك قاسٍ فلا سبيل إلى غير ذلك . يا للعجب . كم من الناس يتمنّون أن يكون لهم أولاد ! فلا يرزقهم الله . ولا يأتيهم إلا الذين

يولدون أمواتاً . خذي زوجة الكاهن مثلا . . . وفي أحيان أخرى ، يولد الأطفال أقوياء عند من لا يحتاج إليهم . (تنظر إلى القبو) ..لا بد أنه انتهى . (لآنيسيا) ماذا ؟

آنيسيا ، ناظرةً في القبو : وضعه تحت لوح من الخشب . . . وجلس على اللوح . . . أعتقد أنه انتهى .

ماتريونا : اوه ! اوه ! نتمنى ألا نقع في الإثم ، لكن كيف يمكن أن نتصرف بطريقة أخرى ؟

نيكيتا ، خارجاً من القبو ، مرتجفاً بكل جسمه : إنه ما يزال حياً ! لا أستطيع . . . إنه حيّ !

آنيسيا : وإذا كان حياً فألى أين تذهب ؟

(تريد أن توقفه)

نيكيتا ، يرتمي عليها: اذهبي وإلا قتلتُك !

(يمسكها من ذراعها ، فتتخلّص ؛ يتبعها بالرفش . ترمي ماتريونا بنفسها في وجهه وتوقفه . تهرب آنيسيا إلى مطلع الدرج . تحاول ماتريونا أن تنتزع الرفش من نيكيتا) .

نيكيتا ، لأمه : سأقتلكِ أنتِ أيضاً ، انصرفي ! (ماتريونا تهرب إلى مطلع الدرج قرب آنيسيا . نيكيتا يقف) . سأقتلكم ، سأقتلكم جميعاً .

ماتريونا : هذا من الخوف الذي أصابه . لا أهمية لذلك . سيزول عنه .

نيكيتا : ماذا فعلْنَ بي ؟ ماذا فعلْنَ بي ؟ كيف كان يَصْأَى ! وكيف كان يُطَقْطِقُ تحتي ! ماذا فعلن بي ؟ إنه حي ! إنه ما يزال حياً (يصيخ السمع) . إنه يَصْأى . هاهو ذا . يَصْأى !

(يركض إلى القبو) .

ماتريونا ، لآنيسيا : عاد إلى القبو . . . أظنُّ أنه سيدفنه . نيكيتا يجب أن تأخذ المصباح .

نيكيتا ، دون أن يجيب ، مصيخاً السمعَ أبداً : لا تَسْمَع . . . لقد حلمتُ (يخطو بضع خطوات ثم يقف مرة أخرى) . كيف كانت عظامُه تطقطق ! . . . ماذا فعلنَ بي ؟ (يصيخ السمعَ) . ما يزال يَصْأى ! نعم ، إنه يَصْأى ! يا أمي ! اوه ! ! يا أمي !

(يتقدّم نحو ماتريونا)

ماتريونا : ما بكَ ، يا صغيري !

نيكيتا : يا أمي العزيزة ، لم أعدْ أقوى على الاحتمال ! يا أمي العزيزة ، ارحميني !

ماتريونا : اوه ! أيّ خوفٍ أصابك ، يا عزيزي ! اذهبْ واشربْ قليلاً من الخمر لتعودَ إليكَ قواك !

نيكيتا : اوه ! يا أمي العزيزة ، جاء دوري الآن ! أنا منهك !

ماذا فعلتنَّ بي ؟ كيف كانت عظامُه تُطقطقُ ! وكيف أخذتِ تَصِرُّ ! اوه ! يا أمي ، ماذا فعلتنَّ بي ؟

(يجلس على الزحافة) .

ماتريونا : اذهب ، يا عزيزي ، واشرب جرعةً ! صحيحٌ ، في الظلمة نحسّ بالضيق ، لكن انتظرْ حتى يدخل النورُ . . . سيمرُّ يومٌ ... ثم يومٌ آخر ، ثم تكفّ عن التفكير في ذلك . انتظرْ قليلا ، سنزوّج البنتَ وستنتهي القضيّة . اذهبْ واشربْ جرعةً ، اذهبْ ! سأرتّب كل شيء في القبو .

نيكيتا ، ينتفض : وهل بقي خمرٌ ؟ سأحاول أن أنسى وأنا أشربُ !

(يخرج ، آنيسيا التي لم تفارق مطالع الدرج ، تتنحّى لتدعه يمرّ ، دون أن تقول كلمة) .

المشهد – ١٥ –

« ماتريونا ، آنيسيا » .

ماتريونا : اذهبي ، اذهبي ، يا فراولتي ! سأشرع في العمل . . . سأنزل وأدفنه . أين رمى بالرفش ؟ (تأخذ الرفش وتهبط إلى القبو حيث تتوارى نصفياً) . آنيسيا ، تعالي إلى هنا ، أضيئي لي !

آنيسيا : وهو ، مالَهُ ؟

ماتريونا : هزّه الخوف ... أنتِ عاملتِه بخشونة شديدة . دعيه ،

سيثوبُ إلى رشده ، حفظه الله ! سأقوم بالعمل وحدي .
ضعي المصباحَ هنا كي أرى بوضوح ...

(تختفي ماتريونا في القبو) .

آنيسيا ، تلتفت إلى الباب الذي خرج منه نيكيتا : لقد لهوتَ ! وانتهى اللهوُ الآن ! كنتَ متعجرفاً ، انتظرْ ، ستعلم ما معنى ذلك! سوف تكفكف من غرورك .

المشهد – ١٦ –

« ماتريونا نيكيتا » .

نيكيتا ، واثباً نحو القبو : أمي العزيزة ، يا أمي العزيزة !

ماتريونا ، مُخرجةً رأسها من القبو : ما بكَ يا صغيري ؟

نيكيتا ، مصيحاً : لا تدفنيه ! إنه حي ! ألا تسمعين ! إنه حي ! ها هو ذا يتصأى ! ها هو ذا . . . ها هو ذا . . . بوضوح !

ماتريونا : وكيف يمكنه أن يتصأى ، لقد رققْتَهُ كالفطيرة . وسحقْتَ رأسه الصغير .

نيكيتا : وما هذا إذن ؟ (يسدّ أذنيه) . إنه يتصأى أبداً . فقدتُ حياتي ! فقدتها ! ماذا فعلْنَ بي ؟ وإلى أين أفرّ ؟

(يتهالك على درج القبو) .

ستار

الفصل الخامس

اللوحة الأولى

« مَرْجٌ . في المقدمة مكان خال يُقام عليه الكدسُ ؛ إلى اليسار البيدر ؛ إلى اليمين مخزن الغلال . أبواب مخزن الغلال مفتوحة ومغطاة بالقش . في الصدر فناءٌ . تُسمع الأُغنياتُ والجلاجل . فتاتان تسلكان الدرب المحاذي للمخزن والذي يؤدي إلى البيت الخشبي » .

المشهد — ١ —

بنتان وميترتيش نائماً على القش

البنت الأولى : أنتِ تَرَيْن أننا أحسنّا صنعاً بالمرور من هنا . بل إن حذاءينا لم يتلوّثا بالطين ، بينما لو مررْنا بالقرية ... أيّ وحل ! (تقفان وتنشفان اقدامهما بالقش . تنظر الفتاة الأولى إلى الداخل وتشاهد شيئاً) . عجباً ! ما هذا ؟

البنت الثانية : هذا ميترتيش ، عاملهم . كم هو سكران !

البنت الأولى : كنتُ أظنّ أنه لا يشرب .

البنت الثانية : نعم ، ما دامت الكأسُ بعيدة عنه .

البنت الأولى : انظري ! جاء يطلب القشّ ، وما يزال حباه بيده ، فنام !

البنت الثانية : تصيخ السمعَ : ما يزالون يغنّون مدائح العرس وكأن العريسين لم يُباركا بعد . يُقال إن آكولينا لم تَبْكِ .

البنت الأولى : ماما تقول : إنها لا تتزوّج برضاها . وأن زوج خالتها هدّدها ، ولولا ذلك لما قبلتْ أبداً . وتعامين جيدا ما كان يُقال عنها .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، مارينا تنضم إلى الفتاتين » .

مارينا : طاب يومكما ، يابنتيّ .

البنتان : طاب يومك ، يا خالة .

مارينا : أأنتما ذاهبتان إلى العرس ، يا عزيزتيّ ؟

البنت الأولى : العرسُ انتهى . ما جئنا إلا للتفرّج .

مارينا : نادي لي زوجي ، « سيميون » الذي من زويفنو . أنتما تعرفانه ، فيما أظنّ ؟

البنت الأولى : بالتأكيد ! وأظن أنه قريبُ العريس .

مارينا : نعم ، العريس ابن أخي زوجي .

البنت الثانية : ولمَ لا تذهبين أنتِ نفسك إلى هناك ؟ كيف لا تذهبين إلى العرس ؟ . .

مارينا : لا أشتهي ذلك ، يا بنتي ، وليس الوقت مناسباً أيضاً . يجب أن نسافر ، ولم نأت إلى هنا من أجل العرس ، وإنما

نحن ذاهبان إلى المدينة لنبيع الشوفان . وتوقّفنا هنا لنطعم الجياد ، فادعَوْا زوجي .

البنت الأولى : وأين توقّفتما ؟ عند فيدوريتش ؟

مارينا : نعم ، عنده . سأنتظر هنا ، وأنتِ ، نادي لي زوجي . أخرجيه ، يا صديقتي ، وقولي له : « إن زوجتك مارينا تريد منك أن تأتي ، وأن الجياد تُرْبَطُ » .

البنت الأولى : طيّب ، بما أنكِ لن تذهبي بنفسك إلى هناك .

(تسلك الفتاتان الدرب . تُسمع الأغنياتَ والجلاجل) .

المشهد — ٣ —

مارينا ، وحدها : أأذهب إلى هناك . لمَ لا ؟ لكني لا أشتهي ذلك . لم أرَه منذ اليوم الذي تنكّر لي فيه . مضى عامٌ على ذلك . أودّ ، مع ذلك ، أن أعلم كيف يعيش مع آنيسيا . الناسُ يزعمون أنْ لا اتفاق بينهما . فهي امرأة قاسية ، مشاكسة ، لا بدّ أنه تذكّرني غيرَ مرة ؛ كان يتوق إلى هذه الحياة الميسورة ، وتركني للحياة الصعبة . ليَحفَظْهُ الله ! لستُ حاقدةً عليه ، لكنْ ، كم آلمني ذلك ! وقد هدأ كلُّ شيء الآن ، ونسيتُ كل شيء . ومع ذلك فأودّ لو أراه . (تنظر من جهة الفناء وتبصر نيكيتا) . اوه ! لماذا جاء ؟ لعل البنتين أخبرتاه ؟ . . . فترك مدعوّيه هكذا ! . . . يجب أن أنصرف .

المشهد – ٤ –

« مارينا ، نيكيتا » .

« يدخل ، خافض الرأس ، مهمهماً بين أسنانه » .

مارينا : اوه ! كم هو متجّهمٌ !

نيكيتا ، يعرف مارينا : مارينا ، يا صديقتي العزيزة ، يا صغيرتي مارينا ، ماذا تفعلين هنا ؟

مارينا : جئتُ أبحثُ عن زوجي .

نيكيتا : ولمَ لمْ تأتي إلى العرس ؟ كنتِ ستتفرّجين ، وكنتِ ستهزئين مني .

مارينا : ولمَ أهزأُ منك . جئتُ أبحث عن زوجي .

نيكيتا : آه ! ياصغيرتي مارينا !

(ينوي تقبيلها)

مارينا ، تتراجع بادية الغضب : إياكَ وهذه الأساليب ، يا نيكيتا ! مضى ما مضى . جئتُ ابحث عن زوجي . أهو عندكم ؟

نيكيتا : إذن يجب ألا نتذكّر الماضي ؟ وأنتِ لا تريدين ذلك ؟

مارينا : لا مجالَ لتذكّره . ما مضى فاتَ .

نيكيتا : ولا نستطيع إرجاعه ؟

مارينا : لا ،لانستطيع . لمَ خرجتَ ؟ ما أعجبك من رب منزلٍ ترك عرسَه .

نيكيتا ، جالساً على القش : لمَ خرجتُ ؟ آه ! لو كنتِ تعلمين ! أنا حزين . مارينا ! اوه ! كم أنا حزين . اودّ لو أني لا أرى شيئاً . قمتُ عن الطاولة وذهبتُ لكي لا أرى أحداً .

مارينا : مقتربةً منه : ما بكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي ! . . . أنني آكل وأشرب وأنام ، ولا أستطيع أن أنسى أبداً . آه ! ما أتعسَني ! ما أتعسني ! وما أتعسني ، يا مارينا ، لأني وحدي ، ولأني لا أجد من يُقاسمني عذابي .

مارينا : لا يمكنُنا أن نُمضي حياتنا ، يا نيكيتا ، دون مشقّات . لقد بكيتُ كثيراً أنا ، ثم زال كل شيء .

نيكيتا : تتحدثين عن تلك القصة القديمة . . . عمّا مضى . آه ! يا صديقتي ، أنت أغرقتِ حزنَكِ في الدموع ، بينما أنا يخنقني الألمُ !

مارينا : مابكَ إذن ؟

نيكيتا : ما بي أن الحياة تثير اشمئزازي ، وأنني أشمئزُّ من نفسي ! اوه ! مارينا ، لمْ تستطيعي أن تحتفظي بي ، فأضَعْتِني وأضعتِ نفسك في آن واحد ! أهذه حياةٌ ؟

مارينا ، مستندة إلى مخزن الغلال ، محاولةً حَبْسَ نحيبها : أنا ، لا أشكو من حياتي ، يانيكيتا . أتمنّى مثلَها لكل الناس . لا أشكو أبداً . قلتُ لزوجي ، فيما مضى ، كلَّ شيء ، فغفَر لي . وهو لا يلومُني على شيء . لستُ مستاءَةً

من حظي ، فزوجي وديعٌ . وهو لطيفٌ معي وأنا أُلبس أولاده ، وأغسلُ لهم ، وهو ممتنٌ لي على ذلك ولمَ أشكو ؟ الله أراد لي ذلك . وحياتُكَ ؟ أنتَ غنيٌّ . . .

نيكيتا : حياتي ؟ لا أريد أن أعكرّ العرس ، ولولا ذلك لأخذتُ حبلاً ، هذا (يتناول حبلاً عن القش) . ولألقيتُه فوق هذا الجسر ، ثم لعمات أنشوطةً محكمةً ، ولصعدتُ على العارضة ولَلَفَفْتُ الحبل على عنقي . هذه هي حياتي !

مارينا : مهلاً ! حفظكَ الله !

نيكيتا : تظنيّن أنني أمزح ، تظنين أنني سكران ، لم تعد الخمرُ تُسكرني ، الآن ! أكلتني الغمُّ ! حتى لم يبق شيءٌ يشدّني ! آه ! مارينا ! كلٌّ وقتي الحلو كان معك ! . أتذكرين ليالينا عندما كنتُ في السكة الحديدية ؟

مارينا : لا تَنْكَأْ جرحاً قديماً . قبلتُ بالقانون وأنتَ أيضاً . وغُفِرَ لي ذنبي . لا تُنقّبْ في الماضي .

نيكيتا : لكنْ ماذا أفعلُ بقلبي ؟ وإلى أين أذهب ؟

مارينا : ما تفعلُ به ؟ لكَ امرأة فلا تَشْتَهِ نساءَ الآخرين . حافظْ عليها . كنتَ تحب آنيسيا ، حسناً ! أحبَّها !

نيكيتا : آه ! مَنْ آنيسيا هذه ! إني أكرهُها كما أكره عشبةً سامةً ! لقطتْني بساقيّ كما تلتقطنا خيوط النباتات المائية !

مارينا : لكنها امرأتُك . . . على كل حال لا فائدة من متابعة الحديث ، عُدْ إلى ضيوفك وأرسلْ لي زوجي .

نيكيتا : آه ! لو كنتِ تعلمين كلَّ شيء ! . . . لكن ما جدوى ذلك ؟

المشهد — ٥ —

« نيكيتا ، مارينا ، زوجها وآنيوتكا » .

زوج مارينا ، خارجاً من البيت الخشبي ، سكران وشديد الاحمرار : مارينا ! يا امرأتي ! أين أنتِ ؟

نيكيتا : هذا زوجُكِ يناديك ، اذهبي إليه !

مارينا : وأنتَ ؟

نيكيتا : أنا باقٍ هنا !

(يضطجع على القش) .

زوج مارينا : وأين هي ؟

آنيوتكا : هي هناك ، يا عم ، قرب المخزن .

زوج مارينا : وماذا تفعلين هنا؟ تعالي إلى العرس . أصحاب الدار يرجونك أن تشرّفيهم . ستسافر العروسُ بعد قليل ، وسنُسافر نحن .

مارينا ، تلاقي زوجها : لا أشتهي ذلك .

زوج مارينا : قاتُ لكِ : تعالي ، تتناولين كأساً صغيرة ، وتُهنّئين

— هذا القذر « بيتروفكا » ! سيستاء أصحابُ الدار إن لم تذهبي ، ومعنا الوقتُ الكافي !

(يقبّلها ويخرج معها وهو يترنّح) .

المشهد — ٦ —

«نيكيتا ، آنيوتكا » .

نيكيتا ، يجلس : أنا أشدّ حزناً الآن ، بعد أن رأيتُها ! لم أسعدْ حقاً إلا معها . ومن أجل لا شيء ، لا شيء على الإطلاق ، أضعتُ نفسي ،وحطّمتُ حياتي ! (يعود إلى الاضطجاع) . إلى أين أذهب ! آه ! ليت الأرض تنفتح تحتي !

آنيوتكا ، ترى نيكيتا ، وتسرع إليه : يا أبي ، يا أبي العزيز ! إنهم يبحثون عنك . الجميع ، حتى الاشبين ، باركوهما ، نعم ، عسى أن أموت ، باركوهما ! غضبوا لغيابك .

نيكيتا ، بينه وبين نفسه : إلى أين أذهب ؟

آنيوتكا : ماذا ؟ ماذا تقول ؟

نيكيتا : لا أقول شيئاً . ماذا تريدين مني ؟

آنيوتكا : يا أبي ، هيّا ! (يسكت نيكيتا ، تشدّه آنيوتكا من يده). اذهب وباركهما ، يا أبي . لقد غضبوا حقاً ! وأخذوا يجدّفون !

نيكيتا ، ساحباً يده : دعيني !

آنيوتكا : مالكَ !

نيكيتا ، يهدّدها برسن الحصان : انصرفي ! أقول لك ! وإلا ضربتك . . .

آنيوتكا : سأرسل أمي ، إذن !

المشهد — ٧ —

نيكيتا ، وحده ، ناهضاً : كيف أذهب ؟ وكيف يمكن أن أمسك بالأيقونة المقدّسة(١) ؟ كيف أستطيع أن أنظر إليها في وجهها ! (يعود إلى الاضطجاع) . اوه ! لو أن هوة انفتحت أمامي لرميت نفسي فيها . . . لن يراني بعدها أحدٌ ولن أرى أحداً ! (ينهض مرة أخرى) . اوه ! لا ، لن أذهب ! ليبتعدوا عني ، لن أذهب ! (ينزع جزمته ويأخذ الحبل ويعمل أنشوطة ويلفّه حول عنقه) . سيكون الأمرُ هكذا .

المشهد — ٨ —

« نيكيتا ، ماتريونا »

« نيكيتا يرى أمه ، فيرفع الحبل من رقبته ويعود إلى الاضطجاع » .

ماتريونا ، لاهثة : نيكيتا ! ايه ! نيكيتا ! لا يُجيب ؟ نيكيتا ، هل أنت سكران ؟ اذهبْ ، يا نيكيتا ، اذهبْ ، يا فراولتي ، الجميع ينتظرونك .

نيكيتا : آه ! ماذا فعلتنّ بي ؟ لم أعدْ إنساناً .

---

(١) أمسك بالايقونة المقدسة : ليبارك العروسين باعتباره رئيس العائلة .

ماتريونا : ما بالك ! هيا ، يا صديقي ، اذهبْ وباركْ بصورة لائقة ، ثم انصرفْ . الناسُ ينتظرونك .

نيكيتا : وكيف أستطيع مباركتها ؟

ماتريونا : بكل بساطة . ألا تعرفُ كيف تتمّ المباركة ؟

نيكيتا : أعرف ، أعرف ! لكنْ كيف أبارك بعدما فعلتُه بها .

ماتريونا : ما فعلتَه ؟ القصة القديمة ! لا أحد يعرفها ! ولا هرّ يتوهمّها . وقد تزوّجت البنتُ برضاها التام .

نيكيتا : نعم ، لكن كيف تزوّجت ؟

ماتريونا : لا شك أننا أجبرناها قليلا ، لكنها كانت موافقة مع هذا . وماذا تريد أن نفعل ؟ كان يجب أن تفكّر في ذلك من قبل . أما الآن فلا مجال للتراجع . أما أهل العريس فلم نغشّهم ، رأوا البنت مرتين ، ثم إن مالها معها ، سوّي إذن كلُّ شيء .

نيكيتا : والقبو ، ألم يمرّ ببالك ؟

ماتريونا : القبو ؟ وما في القبو ؟ في القبو ملفوفٌ وبطاطا وفطور . لمَ التذكير بالماضي ؟

نيكيتا : أودّ ألا أتذكره ، فلا أستطيع . ما ان أتذكّر الماضي حتى اسمعه ، اسمعه أبداً ! اوه ! ماذا فعلتنّ بي ؟

ماتريونا : هيا ، اقبلْ مني ولا تتدلّلْ .

نيكيتا ، ينكفىء ويغطّي وجهه بيديه : اوه ! شكراً ، لا تعذّبيني ! لم أعدْ أحتملُ !

ماتريونا : لا بدّ من ذلك . أخذ الناس يثرثرون . وها إن الأب ينصرف ، ويأبى أن يعود . إنه لا يجرؤ أن يبارك ! سيحمل ذلك الناسَ على التفكير . فما ان يروك خائفاً حتّى يبدؤوا بالتخمين . امشِ ورأسُكَ مرفوعٌ فينحني لك الناسُ جميعاً . إذا هربتَ من الذئب ، وقعتَ على الدبّ . لاتُمكّنْ أحداً من نفسك . لا تَخفْ ، يا فتاي ! وإلا ساءت الأمور .

نيكيتا : آه ! لقد فتلتُنّ لي رأسي .

ماتريونا : كفى ! هيّا ! اذهبْ وباركْ ، بصورة لائقة ، ثم ينتهي كل شيء .

نيكيتا ، محافظاً على وضعه : لا أستطيع .

ماتريونا ، بينها وبين نفسها : ماذا جرى له ؟ كان يبدو حتّى الآن وكأنه نسيَ كل شيء ، وها إن ذلك يعود إليه . لا بد أنه مسحور . (بصوت عالٍ) . نيكيتا ! انهضْ ! انظرْ ، ها قد جاءت آنيسيا ، تاركةً ضيوفها .

المشهد — ٩ —

« نيكيتا ، ماتريونا ، آنيسيا » .

آنيسيا ، في ثياب الأحد ، محمرّة ، وثملة قليلاً : كل شيء يجري على أحسن ما يرام ، يا أمي ... على أحسن ما يرام ، وبشكل لائق جداً . وما أعظمَ سرورَ الناس ... وهو ، أين هو ؟

ماتريونا ، هو هنا ، يافراولتي ، هنا . نلم على القش ولا يريد أن يذهب .

نيكيتا ، ناظراً إلى زوجته : وها هي ذي أيضاً ثملة ! أنظرُ إليها فأتقزّز . هل يمكن العيشُ معها ؟ (يعود إلى الاضطجاع على بطنه) . سأقتلُها ذات يوم ! وسيكون ذلك أسوأ !

آنيسيا : آه ! ها هو ذا مضطجع على القش ! (تضحك) . هل دارت الخمرةُ برأسكَ ؟ اودّ لو أنام معك هنا ، لكنْ لا وقتَ لديّ . هيّا ، سآخذك . آه ! كيف يسيرُ كلُّ شيء سيراً حسناً في البيت . ممُتعٌ أن ترى ذلك ! فهناك آكورديون . والنساء يعزفْنَ . . . اوه ! ما أحسن ذلك ! كلهم سكارى ! لائقٌ جداً ، حلوٌ جداً . . .

نيكيتا : ما الحلو ؟

آنيسيا : العرسُ ! عرس بهيجٌ جداً . كل الناس قالوا : مثل هذا العرس ، نادرٌ ! كل شيء يجري بشكلٍ لائق ، حسن ! هيّا ! لنذهبْ معاً ! . . . أنا شربتُ ، لكنني أستطيع أن آخذك .

(تمسك به من يده) .

نيكيتا ، ساحباً يده باشمئزاز : اذهبي وحدكِ ! سأتبعكِ .

آنيسيا : اقبلْ مني ولا تتدلّلْ . . . كل مصائبنا انتهت . . . المنافسةُ صُفِّيَتْ ، ولم يبقَ علينا الآن إلا أن نحيا ونبتهج ... سوّي كل شيء بشكل مناسب ، وبحسب القانون . . .

أنا جدّ مسرورة ! لا أقدر على التعبير ! . . . كأني أتزوّج مرة ثانية ! آه ! كل الناس كلهم راضين أعظم الرضا ! الجميع شكرونا ! والمدعوون جميعاً من الناس المحترمين : ايفان موستيش ، السيد الدركي . الجميع هنّؤوا العروسين .

نيكيتا : ابقي إذنْ معهم ! لمَ جئتِ ؟

آنيسيا : يجب أن أعود ، هذا صحيح ! ليس هذا مناسباً . . . أصحاب الدار ينصرفون ويتركون مدعوّيهم ... وجميع مدعوّينا أناس محترمون جدا !

نيكيتا ، ينهض وينفّض القشّ العالق بثيابه : اذهبي ، وسأذهب في الحال !

ماتريونا : يبدو أن طائر الليل أحسن غناءً من طائر النهار ! لم يُصغ إلي ولحق بامرأته على الفور .

(ماتريونا وآنيسيا تتجهان إلى البيت الخشبي) .

ماتريونا ، ملتفتة : هل أنتَ آتٍ ؟

نيكيتا : سأذهب إلى هناك في الحال . اذهبا ، سألحق بكما . سأذهب . . . وسأبارك . (تقف المرأتان) . اذهبا ! سألحق بكما ، اذهبا !

(تذهب المرأتان . يتبعهما نيكيتا بعينيه ، متفكّراً) .

المشهد — ١٠ —

« نيكيتا وحده ، ثم ميتريتش » .

نيكيتا ، يعود إلى الجلوس ، وينزع حذاءه : تستطيعون أن تنتظروني !

آه ! لا ! ستجدونني . . . على الجسر إن لم أكن هنا ... إذا ما أحْكِمَتْ الأنشوطةُ ، فاذهبوا ، بعد ذلك ، وفتّشوا ! من حسن الحظ ، أن الرسنَ ما يزال هنا ! (يظلّ متفكّراً) . كل عذاب غير هذا العذاب ، يمكن التخلّص منه . . . أما هذا فهو هنا . . . في قلبي ! ... مثل هذا العذاب لا يُنْتَزَعُ ! (ينظر إلى جانب الفناء) . وهي تعودُ فوق ذلك ! (مقلّداً آنيسيا) . « آه ! ما أجمل ذلك ! وكما هو لائق ! سأنام بقربك ! » آه ! يا لكِ من عاهرة قذرة ! حسناً ! خذي ! قبليني عندما يُنزلونني! سينتهي كلُّ شيء ، مِنْ مرّةٍ !

(يمسك الحبل فجأةً ويسحبه إليه) .

ميتريليش ، ينهض دون أن يُرخي الحبل ، وهو سكران : لن أعطيك إياه ! لن أعطيه أحداً ! سأحمل القشّ بنفسي . إذا قلتُ : إنني سأحمل القش فسأحملُه . أهذا أنتَ ، نيكيتا ! (يضحك) . آه ! يا للشيطان ! جئتَ تطلب القشَّ ؟

نيكيتا : أعطني الحبلَ !

ميتريليش : آه ! لا ، انتظرْ ! الفلاحون ينتظرونني . . . سألمُّ ... (ينهض ليلمّ القش ، لكنه يترنّح ويقاوم وينتهي بأن يقع) . هذا ماءُ الحياة الذي هو أقوى ! انتصرَ ماءُ الحياة !

نيكيتا : أعطني الرسنَ .

ميترليش : قلتُ لكَ لا . . . آه ! نيكيتا ، أنتَ غبي كإوزّة ! (يضحك) أنا أحبّك ! . . . لكنك غبي . . . لستَ مسروراً . . . لأنني عدتُ إلى الشرب ! آه ! طيب ! لا أبالي بك ! تظنُّ أنني بحاجة إليك ؟ . . . انظرْ إليّ جيداً ! أنا ضابط صفٍّ ! يا غبي ، ألا تعرف كيف تقول : ضابط صف في سرية رماة صاحبة الجلالة الامبراطورة ! » خدمتُ القيصر ووطني بأمانة وشرف . ومَنْ أنا ؟ أتظنّني محارباً ، لستُ محارباً ، أنا ! أنا أسوأ الرجال ، أنا يتيم ، أنا خليع ! أقسمتُ ألا أشرب ، وها أنا سكران ! ... أتظن أنني أخافك ؟ أبداً ، لا . أنا لا أخاف أحداً ! بدأتُ أشرب ! بدأت ! هذا كل ما في الأمر ! . . . ولن انقطع عن الشرب الآن إلا بعد أسبوعين على الأقل ... سأدبّر نفسي . . . وسأشرب بكل شيء حتى بصليبي ! وسأشرب حتى بقبّعتي ! سأرْهنُ أوراقي الشخصية ! لست أخاف أحداً ! . . . جلَدوني بالسياط في السرّية كي لا أشرب . . . جلدوني ، جالدوني ! . . . وهم يقولون لي : « هل ستتابعُ الشرب ؟ » . وكنت أجيب : « نعم ! » ولمَ الخوف ؟ كذلك أنا ! أنا كما خلقني الله . كنتُ قد أقسمتُ ألا أشرب ، ولم أكن أشرب ! والآن بدأت أشرب ، وأنا أشرب . . . لستُ أخافُ أحداً . لستُ أكذب . لمَ أخافُهم ، هؤلاء الجمال ؟ انظروا ! ها أنا ذا ! كان الكاهنُ يقول لي : « الشيطان أكبرُ متبجّح على الأرض ، وحالما تبدأ بالتبجّح تفقدُ طاقتك ، وإذا

ما فقدتَ شجاعتك أمام الناس تسلّط عليك وحملك إلى حيث يشله » لكنْ بما أنني لا أخاف أحداً ، وأن ضميري نقيّ ، فأنا مطمئن ! ولا أبالي به ! لن يفعل بي شيئاً !

نيكيتا ، راسماً علامة الصليب : وأنا ، ماذا أفعل ؟

(يرخي الحبل) .

ميترلتش : ماذا ؟

نيكيتا ، ينهض : قلتَ إننا لا يجب أن نخاف الناسَ ؟

ميتريليش : لا يجب أن نخاف هذه الطائفة من الجمال ! انظرْ إليهم وهم يستحمّون . كأنّهم مصنوعون من الطينة نفسها : بعضهم أكبر بطناً ، وبعضهم الآخر أصغر بطنا . هذا هو الفرقُ كله . أوَ نخافُ منهم !

المشهد — ١١ —

« نيكيتا ، ميترتيش ، ماتريونا » .

ماتريونا ، خارجةً من البيت الخشبي : ماذا ، ألا تجيء ؟

نيكيتا : نعم ! هذا أفضل . سأذهب !

(يتّجه إلى البيت الخشبي) .

ستار

اللوحة الثانية

« يتغير المنظر . داخل البيت الخشبي في الفصل الأول . البيت مليء بالناس جلوساً ووقوفاً . في صدر المجلس آكولينا وعريسها . على المائدة

الأيقونات المقدّسة والخبز . بين المدعوّين ، ملوينا ، وزوجها ، والدركي . النساء يغنّين . آنيسيا تسكب الشراب . يتوقّف الغناء » .

المشهد — ١ —

« آنيسيا ، مارينا ، زوجها ، آكولينا ، وعريسها ، حوذي ، الدركي ، الخطّابون ، وصيف العريس ، ماتريونا ، المدعوون » .

الحوذي : لا بدّ من الذهاب ! فالكنيسة بعيدة من هنا .

الوصيف : انتظرْ قليلاً ! سيأتي ربُّ الدار ليباركها . لكنْ أين هو ؟

آنيسيا : سيأتي في الحال ، يا أعزّائي . زيدوا كأساً ... لا ترفضوا طلبي .

الخطّابة : لماذا لا يأتي ؟ طالَ انتظارُنا له .

آنيسيا : سيأتي ، سيأتي بعد قليل . سيكون هنا في وقت أقلّ مما يلزم للمرأة الصلعاء لأن تمتشط . (مقدّم الخمر) . أشربوا ، يا أعزائي . سيأتي في الحال غنّينَ ، يا حسان ، شيئاً ، ريثما يحضر .

الحوذي : غَنّيْنا كل ما نعرفُه .

(تغني النساء . يدخل نيكيتا وآكيم) .

المشهد — ٢ —

« الأشخاص أنفسهم ، نيكيتا وآكيم » .

نيكيتا ، يمسك آكيم بيده ويدفعه أمامه : هيّا ، يا أبي ! لا أستطيع أن أستغني عنكَ .

آكيم : لا أحبّ هذا ....

نيكيتا ، للنساء : كفى ، اسكُتْنَ (ينظر إلى الجميع) . مارينا ، أنتِ هنا .

الخطّابة : هيّا ، خذ الأيقونة وبارِكْ .

نيكيتا : انتظري قليلاً . (ينظر مرةً أخرى) . آكولينا ، أنتِ هنا ؟

الخطّابة : أنتَ تتفقّد الحضور ؟ وأين يمكن أن تكون ؟ هذا مضحك .

آنيسيا : آه ! يا أصدقائي ، الكنه حافي القدمين !

نيكيتا : أنتَ هنا ، يا أبي ، انظرْ إليّ . أيها المسيحيون ، يا إخوتي ! أنتم جميعاً هنا ، وأما أنا فها أنا ذا !

(يجثو على ركبتيه) .

آنيسيا : مالكَ ، يا نيكيتا ؟ يا رأسي !

الخطّابة : ما هذه الحماقات !

ماتريونا : قلتُ لكنّ ذلك . لقد أسرفَ في شرب الخمرة الفرنسية ! اصحُ . ماذا تفعل ؟

(تنوي أن تُنْهضه ، لكنه لا يَنْتبهُ إلى أحد ويشخص بنظره أمامه) .

نيكيتا : أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، أنا مذْنبٌ ! وأريد أن أعترف !

ماتريونا ، تسحبُه من كتفه : أأنت مجنون ؟ يا أعزائي ، عقلُه مختلٌ ، ويجب اقتيادُه .

نيكيتا ، ينحنّيها بدفعة من كتفه : دعيني ! وأنتَ ، يا أبي ، اصغِ !
وأنتِ أولاً ، يا مارينا ، انظري إلي ! (يسجد أمامها
وينهض) . أنا مذنب بحقك ! وعدتك بالزواج وغرّرتُ
بك ! خدعتُك وتخلّيتُ عنكِ ! سامحيني ، بجاه المسيح !

(ينحني مرةً أخرى) .

آنيسيا : ما هذه القصص كلها ؟ هذا لا يُناسبك على الإطلاق .
لم يطلبْ أحدٌ منك شيئاً . انهضْ ! وكفاك تهريجاً !

ماتريونا : اوه ! إنه مسحور ! ماذا جرى له ! خرّبوا له عقله !
انهضْ ! ولا تنطقْ بهذه الحماقات !

(تشدّه)

نيكيتا ، يهز رأسه: لا تلمسيني ؛ سامحيني يا مارينا ! لقد أذنبتُ
بحقّك ، سامحيني ، بجاه المسيح !

(تخفي مارينا وجهها بيديها ولا تجيب) .

آنيسيا : قلتُ لكَ : انهضْ ، ولا تختلقْ المشاكل ! ها قد بدأ
يتذكّر الآن . . . أناخجلة ! يا لرأسي ! أهو مجنون ؟

نيكيتا ، منحنياً زوجته ، وملتفتاً إلى آكولينا : إنما أكلّمكِ أنتِ
الآن ، يا آكولينا ! اصغوا أيها المسيحيون ، يا إخوتي !
أنا هالكٌ ! آكولينا ، أنا مذنبٌ بحقّك ! فأبوك لم يمت
موتاً طبيعياً ، وإنما مات بالسم .

آينسيا ، مطلقة صرخةً : يا لرأسي ! ماذا يفعل !

ماتريونا : فَقَدَ عقله ! خذوه !

(يقترب بعضهم لا قتياده) .

آكيم ، مبعداً الناس عنه : انتظروا ! أنتم ، أيها الطيّبون . . . انتظروا ! . . .

نيكيتا : آكولينا ، أنا دسستُ السمَّ له ! ساميحيني ، بجاه المسيح !

آكولينا ، تتقدّم : أنتَ تكذبُ ، وأنا أعرف المذنبَ .

الخطّابة : مالكِ ! ابقي جالسةً !

آكيم : اوه ! يا إلهي ، أية خطيئة هذه ، أية خطيئة !

الدركي : اقبضوا عليه ! أرسلوا في طلب كبير القرية ! سأحرّر محضراً . انهضْ ، وتعال إلى هنا !

آكيم ، للدركي : ايه ! ياذا الأزرار الفضية . . . انتظر ! سيتكلّم . . .

الدركي : وأنت ، لا تتدخّلْ في شيء . يجب أن أحرّر محضراً .

آكيم : آه ! ما هذا الرجل ! . . . قلتُ لكَ انتظرْ ! ودَعْك من المحضر . . . هذه قضية تخصّ الله هنا ! رجلٌ يعترف ! وأنتَ تأتي لتحدّثنا عن المحضر !

الدركي : كبير القرية !

آكيم : دع قضية الله تنتهِ ! . . . وبعد ذلك أفعلْ واجبك !

نيكيتا : وفي ذمتي أيضاً ما أعترفُ به ، يا آكولينا ، ذنبي الأكبر بحقك . لقد غرّرتُ بكِ . . . سامحيني بجاه المسيح !

(ينحني)

آكولينا ، ناهضةً: دعوني ! لا أريد أن اتزوّج بعد الآن ! هو أمرني بذلك ! وأنا الآن أرفض الزواج .

الدركي : كرِّرْ ما قلتَ .

نيكيتا : انتظرْ ، يا سيدي الدركي ، دعني أُتمّمْ كلامي !

آكيم ، متحمّساً: قلْ ، يابني . قلْ كل شيء ؟ . . . ستتخفّف . . . اعترف أمام الله ! لا تخف الله ! الله ! الله ! هو ذا !

نيكيتا : سمّمتُ الأب . وغرّرتُ بالبنت . أنا ذلك الشقي . كانت لي سيطرةٌ عليها ، وقد قتلتُ ابنها !

آكولينا : هذه هي الحقيقة !

نيكيتا : في القبو ، سحقتُهُ تحت لوحة خشبي . كان تحتي . . . سحقتُهُ وكانت عظامُه تُطقطقُ . (يبكي) . ودفنته في الأرض ! أنا فعلت ذلك . . . أنا وحدي !

آكولينا : إنه يكذب ! أنا أمرتُه بذلك !

نيكيتا : لا تدافعي عني ! أنا لا أخشى أحداً الآن ! أيها المسيحيون ، يا إخوتي ، سامحوني !

(يسجد . وقفة قصيرة) .

الدركي : قيّدوه ! انتهى عرسُكم ، أيها الأكارم !

(يدنون من نيكيتا ويربطونه بزنانير) .

نيكيتا : انتظروا ! ففي الوقت متّسعٌ !(يسجد أمام أبيه) . يا أبي الحبيب ، سامحْني ، أنا الهالك ! طالما حذّرتني ، عندما بدأتُ مجوني ، طالما قلتَ لي : « إذا كانت قدم الطائر مدبّقة فسرعان ما يُصاد » . وأنا ، ذلك الشقيّ ،

لم أصغ إلى صوتك ، وما تنبأتَ به قد وقع ! سامحني ، بجاه المسيح .

آكيم ، منتشياً : سامَحكَ الله ، يا بني الحبيب ! (يقبّله) . لم تُراعِ نفسك ! الله يُراعيك ! الله ! هو ذا !

المشهد — ٣ —

« الأشخاص أنفسهم ، كبير القرية » .

كبيرُ القرية ، داخلاً : الشهودُ ، كثيرون .

الدركي : سنستَجْوبه بعد قليل .

(يُربَطُ نيكيتا) .

آكولينا ، تتقدّم إلى قرب نيكيتا : وسأقولُ الحقيقة كلها ، استجوبوني أنا أيضاً .

نيكيتا ، مربوطاً : لا داعي لاستجوابها . أنا الذي فعل كلّ شيء . كانت الفكرةُ فكرتي ونفّذتُها . خذوني إلى حيث تشاؤون .

فلن أقول شيئاً بعد الآن .

ستار